جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الزاوية التجـانية بقمار دراسة تاريخيــة ومعماريــة

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبان :

صالح بن عبد الله

علي بن خليفة

الأستاذ المشرف:

السعيد عقبة

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. عثمان زقب	رئيس اللجنة	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
أ. السعيد عقبة	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
أ. التجاني مياطة	عضو مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

السنة الجامعية : 1437 – 1438 /2016 – 2017

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾

التوبة: ١٠٥

شكـــر وتـــقديـــر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم: ٧

الحمد لله حمدا يوافي به نعمه وآلائه ، فإنه خير من أعطى وأكرم وأفضل من أحسن وأنعم . والصلاة والسلام على خير البرية المبعوث رحمة للبشرية .

نتقدم بأسمى آيات الشكر وعبارات التقدير والامتنان إلى الذين حملوا لواء العلم والمعرفة وأناروا لنا الطريق : أساتذتنا الكرام بقسم العلوم الإنسانية بجامعة حمه لخضر

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف : السعيد عقبة الذي أحاط هذا البحث بالاهتمام وتعهده بالرعاية والتوجيه، فكان لتوجيهاته الفعالة ونصائحه الناجعة الأثر الكبير في إنجاز هذا البحث .

كما نتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى الذين ساعدونا في إنجاز البحث بتوفير المراجع وخاصة التي تتعلق بالزاوية التجانية ، نخص بالذكر : ونيس عبد الفتاح ، علي غريسي ، محمد حناي.

ونتقدم بعظيم الشكر إلى الأستاذة : أمينة تجاني التي كان لتصويبها اللغوي الدور الكبير في إخراج هذا البحث في أبهى حلة .

والشكر موصول إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد .

إهـــــداء

إلى روح الأرواح ... ونور الأنوار ... عين الرحمة الربانية ... ياقوتة الحقائق الإلهية

سيّدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى قرة عيني ونور قلبي ... شيخي الأكبر سيدي أحمد التجاني .

إلى النور الذي أشرق في ذاتي ... فصيّر طيني جوهرا آخرا

شيخي وقدوتي ومعلمي الشيخ الدكتور سيدي محمد العيد التجاني

إلى بحر العطاء وشط الأمان .... والدي العزيزين

إلى سندي في الحياة زوجتي الفاضلة... و إلى كل الأخوة و الأخوات و الزملاء

و إلى كل طلبة ماستر تاريخ حديث و معاصر

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

ثمرة جهد وحب وإخلاص

علي

إهـــداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى سيد الوجود ومعدن العطاء و الجود سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة و التسليم و إلى شيخي و إمامي الخليفة الدكتور سيدي محمد العيد التجاني حفظه اله بما حفظ به الذكر الحكيم وإلى من كان سبا في وجودي الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما و إلى المغفور الله المقدم البركة سي العيد محمدي الذي ربانا وعلمنا وإلى الزوجة الغالية التي لم تتوانى عن تقديم يد العون لي فجزاها الله خير وإلى الكتكوت الصغير الابن الغالي عبد المالك وإلى كل إخوتي وأخواتي كل باسمه وإلى كل الأقارب و الجيران وإلى كل أصدقائي و كل الأساتذة الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بما علمهم الله وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل السعيد عقبة الذي كان نعم المشرف و الموجه وإلى كل من يعرف صالح بن عبد الله من قريب و من بعيد

صالح

مقدمـــة

مقدمة

خلق الله الإنسان وأسكنه أرضه لحكمة إلهيّة تتمثل في؛ الخلافة والعبادة والعمارة. أي خلافته وعبادته وتعمير الأرض . لهذا تعدّ العمارة من أهم المقوّمات الأساسية في الحياة على سطح الأرض، لأنّ الإنسان لا يستطيع العيش في الخلاء أو العراء دون مأوى يقيه البرد والحر وضروبهما .

من هنا برزت أهمية العمران في حياة الإنسان الذي بدأ كسبيل للعيش ، وانتهى كمعالم تاريخية وشواهد حية على المجهود البشري في صناعة الحضارة، وإبراز رقيّها وتطورها على مر العصور، وفي مختلف الأماكن . فهو نافذة مفتوحة على حضارات الشعوب بمختلف أجناسها ، وأداة للتعبير الفكري والحضاري والثقافي، يحدد نمط الحياة للمجتمع الذي ينتمي إليه من جميع النواحي؛ الدينية والاجتماعية ....

والجزائر ثرية بالمعالم التاريخية ولا سيما صحرائها الواسعة بمدنها الكثيرة والمتعدّدة التي تزخر بمنشآت عمرانية تاريخية غاية في الأهمية ، وذلك للدور الريادي الذي لعبته ولا تزال تلعبه منذ إنشائها إلى يومنا هذا .

وتكمن أهمية هذه المنشآت أساسا في قيمتها التاريخية التي تمثل ذاكرة المجتمع وأصالته وكيانه هذا من جانب ، ومن جانب آخر فهي تحافظ على الهوية الأصلية ، والطابع الحضاري والثقافي الأصيل للجزائر عامة والصحراء خاصة .

ومن هذه المنشآت العمرانية الزاوية التجانية بقمار التي هي محل هذه الدراسة الموسومة بـ" **الزاوية التجانية بقمار، دراسة تاريخية ومعمارية** " .

ونحاول الإجابة على الإشكالية الرئيسية التالية : **كيف نشأت الزاوية التجانية بقمار تاريخيا وكيف تشكلت معماريا ؟** تتفرع عنها مجموعة من التساؤلات الجزئية أهمها :

– ما هي الظروف التاريخية التي تأسست فيها الزاوية التجانية ؟

– كيف كان تطورها وما هي التجديدات التي أدخلت عليها ؟

– ما هي مظاهر وخصائص منظومتها العمرانية والمعمارية والفنية التي تميزت بها ؟

– ما هي مظاهر التأثر بين أساليبها الفنية والمعمارية وأساليب المراكز الفنية الأخرى؟

– ما هي مظاهر الجِدّة التي تفردت بها الزاوية التجانية في منطقة وادي سوف خاصة والصحراء عامة ؟

أسباب عدّة دفتنا لاختيار هذا الموضوع، نذكر من بينها :

– جدة الموضوع وأهميته من الناحية التاريخية ، حيث لم نجد دراسة حول الزاوية التجانية من هذا المنظور ما عدا بعض الدراسات المعمارية والأثرية التي تنتمي إلى تخصص الهندسة المعمارية أو تخصص الآثار .

– التهميش الذي تعاني منه المعالم الأثرية للزاوية التجانية، حيث لم تعط حقها من الدراسة والتنقيب، فهي غائبة عن صفحات التاريخ الوطني .

– محاولة إعادة الاعتبار لمعالم الزاوية التجانية ، وذلك برصدها وتصنيفها والتعريف بها واستثمارها في البحث العلمي عموما والكتابة التاريخية خصوصا .

– الكشف عن الدور الريادي الذي لعبته الزاوية التجانية بقمار من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية ، ومدى تأثيرها على منطقة وادي سوف .

– إظهار الحركة المعمارية والفنية التي نشطتها الزاوية التجانية ، والتي تمثلت على وجه الخصوص في فن الزخرفة والذي جعلها أنموذجا يحتذى به.

– محاولة إبراز بعض الجوانب التاريخية والمعمارية والفنية للزاوية التجانية في الصحراء الجزائرية ، والتي أهملت من طرف الباحثين، بحيث تكلموا عن الصحراء وأهوالها وصعوبة العيش فيها ولم يتكلموا عن خصائصها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ... وإبداع أهلها وساكنيها .

– قلة الدّراسات التاريخية والمعمارية حول الزاوية التجانية ، حيث لم يهتم بالجانب المعماري إلا من حيث الوصف ، وافتقار مكتباتنا إلى مثل هذا النوع من المواضيع .

لكل هذه الأسباب فإنّ الزاوية التجانية بقمار جديرة بالدراسة والاهتمام لكونها معلما تاريخيا معماريا وطنيا، يتميز بتخطيط عمراني محكم، وعناصر معمارية متعددة ومواد بناء متنوعة .

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على المنهج التاريخي والوصفي ؛ الأول في عرض المعلومات التاريخية عن الزاوية التجانية من حيث تأسيسها وتطورها عبر الزمن . أما الثاني في الوصف المعماري للمنشآت مع التشخيص الدقيق للمظاهر المعمارية من داخل المعالم وخارجها ، والوقوف على أنواع وأشكال العناصر الفنية في العمارة الصحراوية التجانية .

ولهذا جاءت الدراسة من ثلاث فصول ؛ تاريخي ومعماري و تقنيات فن الزخرفة ؛ الأول يتحدث عن الزاوية التجانية وظروف نشأتها وتطورها . والثاني تناول الجانب المعماري والفني الزخرفي بالوصف والتحليل .والثالث يتحدث عن كيف كانت تقنيات فن الزخرفة في الزاوية إضافة إلى مدخل تمهيدي عرّف بمدينة قمار وتطورها باعتبارها حاضنة للزاوية التجانية . وخاتمة جمعت ما استخلصه البحث من نتائج .

وفي محاولة للإلمام بجميع حيثيات البحث قسمنا كل فصل أيضا إلى أربع مباحث، ويمكن تفصيل الخطة كالآتي :

– المدخل موسوم بـ " **لمحة تاريخية عن قمار** " يتناول مدينة قمار بالدراسة من حيث التسمية والتأسيس ومراحل التطور التي شهدتها المنطقة عبر حقب زمنية مختلفة .

– الفصل الأول معنون بـ "**الزاوية التجانية بقمار دراسة تاريخية**" وخصص للدراسة التاريخية للزاوية في أربع مباحث ؛ الأول يتناول بعض المفاهيم الأساسية، مثل مفهوم الطريقة التجانية ، والمعنى الحقيقي للزاوية . والثاني يركز على الزاوية التجانية التي هي محور الدراسة من حيث الموقع والتأسيس . والثالث يفصل الحديث عن التطور الذي عرفته منذ إنشائها إلى اليوم ويعدّد مراحله . والمبحث الرابع والأخير يتطرق إلى الدور الكبير الذي لعبته الزاوية على مسرح الأحداث في مختلف الميادين الاجتماعية ، الدينية ، الاقتصادية ... وفي فترات زمنية مختلفة.

– الفصل الثاني يحمل عنوان "**الزاوية التجانية بقمار دراسة معمارية** " ، وقد تضمن هذا الجزء من البحث الدراسة العمرانية والمعمارية للزاوية ، حيث تناول في المبحث الأول مفاهيم عامة حول العمران وعلاقته بالتاريخ ومدى أهميته في الدراسات والكتابات التاريخية . والمبحث الثاني ركز على أهم معالم الزاوية؛ الدينية (مسجد سيدي أحمد عمار، مسجد سيدي حمه العروسي)، والمدنية (التجمعات السكنية مثل الحوش الشرقي وحوش أسيادنا) ، وذلك بالتطرق إلى مختلف أقسامها العمرانية ، من خلال ذكر طبيعتها وأشكالها ووحداتها ومجالات توزيعها .

أما المبحث الثالث فتناول الدراسة المعمارية التقنية من خلال الحديث عن مواد البناء المستخدمة في الزاوية ، وتقنيات استعمالها ، ومدى توافقها مع الإمكانيات المحلية المتوفرة ، والخبرات المتداولة في ذلك الوقت ، ومدى تناسقها مع البيئة الصحراوية الصعبة ، وأثر ذلك على المنطقة .

أما الفصل الثالث فتخصص في الدراسة الفنية من خلال التطرق إلى موضوع الزخرفة بالتركيز على الأشكال والعناصر الفنية والتصويرية الموجودة في الزاوية إلى اليوم من حيث طبيعتها ومصادرها وأنواعها وأشكالها ،وقيمتها الجمالية ، ومدى تأثرها بغيرها وتأثيرها في الآخر.

وفي الأخير الخاتمة التي جمعت كل نتائج البحث ، والتي تمحورت حول مميزات وخصائص العمارة في الزاوية التجانية بقمار في شقيها التاريخي والعمراني المعماري . كما دُعّم البحث بمجموعة من الصور والأشكال والرسومات التي تساعد على توضيح الفكرة .

ولا نكاد نحيد عن الصواب إن قلنا أن الفضل في إنجاز البحث يعود إلى العمل الميداني ، وإلى جملة من المصادر والمراجع ، وإن كانت قليلة ومختلفة من حيث التخصصات ، حيث جمعت بين التاريخي والمعماري والأثري والعمراني ومن ذلك :

المصادر الصوفية: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر لصلاح مؤيد العقبي ، العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني للصادق بن أحمد العروسي التجاني.

المصادر التاريخية: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف لإبراهيم العوامر ، عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية عمرانية لحسونة عبد العزيز بعنوان . جغرافية الاستيطان الريفي للسيد خالد المطري ، جمالية العمارة التقليدية في وادي سوف لمحمد الصالح بن علي .

الكتب المعمارية : جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان لعبد العزيز لعرج، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس لعبد العزيز مرزوق، الفن الإسلامي أصوله وفلسفته ومدارسه لأبي صالح الألفي، الفن الإسلامي لأرنست كونل. إلى جانب بعض المقالات والرسائل الجامعية .

ومن الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز البحث نذكر :

– قلة المصادر والمراجع حول الموضوع، سواء التي تتناول الجانب التاريخي للزاوية التجانية أو الجانب العمراني والمعماري .

– صعوبة الحصول على المراجع، حيث وجدنا بعض الرسائل الأكاديمية في الجامعات الجزائرية يصعب أخذها إلا من طرف طلبة الجامعة وفي نفس التخصص .

– صعوبة العمل الميداني لأن الزاوية التجانية بقمار تغيرت فيها ملامح العمران لقدم عهدها وطول الزمن .

– شساعة الفترة الزمنية المدروسة ، والتي تمتد من زمن تأسيس الزاوية التجانية في القرن الثامن عشر (1789) إلى اليوم ، وصعوبة الإلمام بالموضوع من كل جوانبه .

– صعوبة الدراسة العمرانية والمعمارية لأنها تحتاج إلى التخصص (هندسة معمارية) أو (دراسات أثرية) لفهم كل ما يحيط بالموضوع .

ولكن مع كل هذه الصعوبات استطعنا التغلب عليها، ليخرج البحث في أبهى حلة خدمة للعلم وترقية للبحث العلمي .

وفي الأخير نشكر كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد وخاصة الأستاذ المشرف السعيد عقبة .

ونرجو أن نكون قد وفقنا في هذه الدراسة وألممنا بالموضوع ولو من بعض جوانبه ، ولا ندّعي الكمال في هذا العمل، فلله وحده الكمال ، ولكن حسبنا أننا عملنا واجتهدنا ، وإن كنا قد أصبنا فذلك أقصى ما نبغي ولله الحمد . وإن أخطأنا فلله العصمة والكمال، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا .

الفصل التمهيدي

- لمحة تاريخية عن مدينة قمار
- الموقع الجغرافي
- التطور التاريخي لمدينة قمار
- التطور العمراني لمدينة قمار

لمحة تاريخية عن مدينة قمار :

قبل الحديث عن مدينة قمار لابد أولا من تعريف الولاية التابعة لها، فكما نعلم أنّ قمار هي إحدى دوائر ولاية الوادي ، وهذا يدفعنا إلى تحديد الموقع الجغرافي للولاية . إن منطقة وادي سوف تقع بالجنوب الشرقي للجمهورية الجزائرية وتعرف في الوقت الحالي بولاية الوادي (واد سوف) ، وقد ترقت إلى ولاية إثر التقسيم الإداري لسنة 1984م ، وقبل ذلك كانت دائرة تابعة لولاية بسكرة . أما من الناحية الفلكية فإن المنطقة تنحصر مابين دائرتي عرض 31 و 34 شمالا وبين خطي طول 6 و 8 شرقا [1].

وأما حدودها فمن الشمال ولايات تبسة وخنشلة وبسكرة ، ومن الغرب ولايتي الجلفة وورقلة ، ومن الجنوب ولاية ورقلة ، ومن الشرق الشريط الحدودي مع الجمهورية التونسية . ويبعد هذا الإقليم عن الجزائر العاصمة بنحو 600 كلم .[2]

1- الموقع الجغرافي :

إنّ مدينة قمار هي إحدى المدن الواقعة في إقليم ولاية الوادي ، وهي دائرة من دوائر هذه الولاية وذلك ابتداء من التقسيم الإداري لسنة 1984م ، وتبعد عن مقر الولاية بحوالي 15 كلم وتقع في منطقة إستراتيجية بحيث يقطعها الطريق الوطني رقم 48 الرابط بين بسكرة والوادي ، تحدها شرقا بلديتا حساني عبد الكريم وسيدي عون، ومن الشمال شط ملغيغ وبلدية الحمراية ،

[1] التجاني العقون ، **أضواء على مدينة قمار بوادي سوف** ، مطبعة الوادي ، الوادي ، ط1، 2016 ، ص 12.

[2] المرجع نفسه ، ص 12.

ومن الغرب بلديتا الرقيبة وتاغزوت ، كما تحدها من الجنوب بلدية تاغزوت ، وتقدر مساحة قمار حاليا ب 1264.60 كلم2 [1](ينظر: الملحق رقم 01) .

أما الموقع الفلكي لمدينة قمار فتنحصر مابين دائرتي عرض 31 و34 شمالا وبين خطي الطول 6 و8 شرقا .[2]

2- التطور التاريخي لمدينة قمار :

قمار مدينة تاريخية وعاصمة دينية ، فهي مدينة المساجد والزوايا ، والعلم والعلماء، يمتاز سكّانها بالنشاط والجدّية ، ويعيشون على الفلاحة الصحراوية من نخيل وفول سوداني وبطاطا ومختلف النباتات الموسمية ، وذلك لما تتميّز به قمار من انبساط الأرض وسهولتها ، وقرب الماء من السطح [3]. ولكنها لم تظهر هكذا من الوهلة الأولى ، بل مرّت بمراحل حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن .

أ- التسمية :

تواتر على المدينة عدّة تسميات منها: جلهمة، القدايم، الزراديب، الدبدابة، وذلك راجع إلى انتقال البلدة من مكان إلى أخر وتغير التسمية تبعا لذلك . أمّا تسمية المدينة بهذا الاسم " قمار" فقد تعدّدت الروايات حوله ، نذكر منها :

---

[1] حسونة عبد العزيز ، **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية عمرانية** ، مطبعة مزوار ، الوادي ، ط1، 2013 ، ص 08 .

[2] التجاني العقون ، **أضواء على مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 13 .

[3] بن سالم بلهادف ، **دور الزاوية التجانية بقمار في نهضة سوف والأمصار المجاورة** ،www.nafahat7.net .

– هناك من يرى أنّ قمار كلمة أمازيغيّة أصلها (أقمار) وتعني المنعرج ويقصد بها المنعرج بين قريتي الزّقم والوادي، ويقصد بها أنّها همزة وصل بين القرى من النّاحيّة العلميّة والفقهيّة [1] .

– وأما الشيخ الطاهر تليلي[2] يرى أن رجل من القدايم* تشاجر مع أخيه ، فأتى إلى موضع قمار الآن وقال له : أحطّ أو أخطّ هنا قمار فيك . أي نكاية فيك ومعاندة لك ، فسميت قمار نسبة إلى ذلك [3].

ب– التأسيس:

يعود تأسيس مدينة قمار إلى القرن الثامن بعد الهجرة ، وأمّا تحديد تاريخ التأسيس بهذا الاسم (قمار) فهو غير معروف بالضبط ، وذلك لتواتر التسميات كما أسلفنا سابقا ، حيث تتغير التسمية تبعا للمكان ،ويمكن شرح ذلك كالآتي :

هناك من يرى أنّ أصل تأسيس قمار وتغزوت الأولى هي قرية جلهمة التي كانت سكن للنصارى من بقايا الروم، وحين نزل عليهم قبيلة عدوان بنوا قرية جديدة عرفت باسم القدايم [4] .

[1] محمد النذير التجاني ، **الزاوية التجانية بقمار ، ماضي– حاضر– مستقبل** ، قمار ، الوادي ، 03 جوان 2014 ، ص 06.

[2] محمد الطاهر التليلي من علماء المنطقة المخضرمين ولد سنة 1910 في ظل الاستعمار ، نشأ في كنف الحركة الإصلاحية ، عايش العديد من علماء البلدة ، عرف بدوره الإصلاحي ، شهد مرحلة الاستقلال له عدة كتابات في الفقه والتاريخ منها كتاب مسائل قرآنية ، توفي سنة 2002 .

[3] أبو القاسم سعد الله ، **فذلكة تاريخية عن منطقة سوف بالجزائر لمحمد الطاهر التليلي** ، مجلة العرب ،الرياض ج11 و12 ،جويلية ، أوت ، 2002 ، ص 543 .

*القدايم مدينة قديمة كانت تقع شرقي تغزوت كان بها ثمانون زقاقا وقد خربت ولم يبق منها شيئا كما ذكر ذلك تليلي .

[4] حسونة عبد العزيز ، **عمارة مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 29 .

وأما الشيخ الطاهر تليلي فيرى أن القدايم المذكورة هي مدينة كانت شرقي تاغزوت اليوم فيها ثمانون زقاقا ، وقد خربت اليوم ، ولم يبق إلا الأطلال المدفونة بالرمال [1].

ثم أتى إلى موضع قمار أناس من المغرب وأناس من الجريد ، وأناس من إفريقية حتى تكاملت ثلاثين رجلا ، وبنوا هناك ديارا وسموها أولا البُلَيْدَة وهي الجهة المحيطة بجامع سيدي المسعود وبقيت على ذلك مدة لا يعيش لهم أكثر من رجل ويعرف ذلك العصر بعصر الثلاثين [2] .

ويمكن أن ندرج هنا العامل الرئيسي الذي ساعد على تأسيس قمار في موقعها الحالي وهو وجود الماء ، حيث أنّ مجرى الوادي القديم (وادي الجردانية)الذي ينبع من جبال الأوراس قد انقسم إلى قسمين في نقطة تقع الآن شمال البلدة القديمة . وهذا ما جعل موقع مدينة قمار بين مفترق مصرعي مجرى الوادي القديم ؛ أحدهما يمر غرب المدينة ويتجه إلى الجنوب بغرب مدينة تغزوت وصولا إلى ورماس . وأما الأخر يمر شرق مدينة قمار باتجاه الجنوب ، وبالتالي فإنّ هذه المناطق التي كانت تمر عليها المجارى المائية تمتاز بسهولة الفلاحة وغراسة النخيل لقربه من مصادر المياه وهي تعرف محليا بالحرّة.[3]

وهذا يعني أن توفر المياه سهل الزراعة في هذه المنطقة مما وفر موردا للرزق للأهالي وبالتالي انتعاش الجانب الاقتصادي والاجتماعي للسكان ما ساعد على الاستقرار وإعمار مدينة قمار.

[1] أبو القاسم سعد الله ، **فذلكة تاريخية** ، ص 543 .

[2] المرجع نفسه ، ص 542 ، 543 .

[3] التجاني العقون ، **أضواء على مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 16 .

3- التطور العمراني لمدينة قمار :

عرفت مدينة قمار بكونها حاضرة دينيّة وتاريخيّة، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية [1]:

- الأهمية الاقتصادية للمدينة التي تزايدت مع انتشار زراعة النخيل وحفر الغيطان فيها فتحولت المدينة إلى سوق رئيسية بالمنطقة.

- الأهمية الدينية والتي ظهرت بفضل وجود الكثير من العلماء فيها كالشيخ خليفة بن حسن القماري وغيره، إلى جانب بناء العديد من المساجد القديمة كمسجد سيدي إبراهيم بن سعد، وجامع سيدي المسعود الشابي . والتي ازدادت بظهور الزاوية التجانية بها منذ 1204هـ/ 1789م ، حيث صارت مركزا روحيا يؤمه كل أتباع الطريقة من سكان المنطقة أو من خارجها وزاد بذلك دورها الاجتماعي أيضا .

- الموقع الاستراتيجي للمدينة في الجهة الشمالية الغربية لسوف، عند أهم طريقين حيويين:

أحدهما يأتي من جهة الغرب من إمارة بني جلاب بإقليم وادي ريغ .

وثانيهما يأتي من جهة الشمال من مملكة بن قانة بالزيبان .

وبما أنّ قمار حاضرة علمية ودينية فإنّ عمرانها لم يبق على نفس النّمط ، بل تطوّر تبعا للزّمن ولمكانتها ، وعليه فقد مر تطور هذه المدينة بمرحلتين رئيسيتين هما :

أ-مرحلة تأسيس البلدة :

كانت بداية عمارة البلدة ببناء المساجد التي تمثل المركز الذي تتجمع حوله المساكن

[1] حسونة عبد العزيز ، **عمارة الحواضر في منطقة وادي سوف " مدينة قمار نموذجا** "، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ورقلة ، ع 22 ، www.revues.univ-ourgla.dz .

أ- بناء جامع سيدي المسعود الشابي[1] :

كان ظهور قمار كحاضرة عمرانية لا يختلف عن سياق نشأة المدن الإسلامية ، حيث قامت على تأسيس مسجد جامع ليكون محور عمارتها خاصة بعد أن شهدت المنطقة حركة الإصلاح الديني الآتية من بلاد الجريد كنتيجة لنشاط الطريقة الشابية والذي ساهم في ظهور ثلاث تجمعات حضرية في كل من الزقم والوادي وقمار، وهذه الأخيرة ظهرت في شكل تجمع سكنى لنحو ثلاثين أو أربعين حوشا أو منزلا تبعا لاختلاف الروايات حول جامع سيدي المسعود الشابي الذي أسس سنة 1597م [2].

وقد أقيمت المساكن بشكل مستطيل ومتصل بعضها البعض تحيط بالجامع من جميع الجهات لا يمكن الولوج إليها إلا من باب واحد والذي عرف بالباب الغربي والذي تقابله مساحة واسعة صارت تمثل سوق البلدة ، وإلى الغرب منها على بعد أمتار أنشأت مقبرة [3]. وقد شهدت البلدة بناء مسجدين :

[1] سيدي المسعود الشابي نسبة إلى قرية الشابية بتونس ، كان يترأس الطريقة الشابية المتفرعة عن الطريقة الشاذلية والتي عرفت فيما بعد الطريق الزرقية ، زار سيدي مسعود الشابي منطقة سوف عدة مرات مع مطلع القرن الحادي عشر هجري ونهاية القرن السادس عشر ميلادي ، كان دور في المنطقة ، كما أسس مسجدين أحدهما بالوادي والثاني بقمار.ينظر عند الطاهر تليلي ، فدلكة تاريخية ص 469 .

[2] حسونة عبد العزيز ، **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف** ، مرجع سابق ، ص 31 .

[3] المرجع نفسه، ص 32 .

أ-1- بناء مسجد بيت الشريعة :

أسسه أحمد بن علي الشابي أحد أحفاد المسعود الشابي سنة 1674م على بعد نحو 500 متر غرب البلدة ليكون بمثابة مدرسة علم وقرآن وكذلك دار للسبيل لينزل بجواره عرش أولاد حميد وهم آخر العروش التي وفدت على مدينة قمار [1].

أ-2- بناء مسجد سيدي إبراهيم بن سعد :

عرفت البليدة الأولى خلال هذه المرحلة توسعة ثانية بدأت بتأسيس مسجد سيدي إبراهيم بن سعد سنة 1774م والذي صاحبه إنشاء زقاقين من الجهتين الجنوبية والشرقية للبلدة القديمة لتشكل نقطة التقائهما مخرجا فرعيا للبلدة في الجهة الشرقية عرف فيما بعد بالفج الذي زادت أهميته مع انتشار غيطان النخيل في تلك الجهة ، هذا وقد شهدت البلدة في هذه الفترة توافد بعض اليهود واستقرارهم بها حيث أنشئوا معبد خاص بهم في الجهة الشمالية منها [2].

عرفت قمار خلال هذه المرحلة حركية اقتصادية متزايدة صارت سوقا ومركزا تجاريا لكل منطقة سوف ، خاصة مع اتساع أعمال حفر الغيطان وغراسة النخيل سواء في الجهة الشرقية الجنوبية أو في الجهة الغربية منها إضافة إلى قرية غمرة السفلى التي تبعد عنها نحو ثلاث كلم شمالا ، كذلك توافد اليهود الذين أسهموا في النشاط الحرفي والتجاري، وظلت قمار لوقت طويل محورا اقتصاديا رئيسيا في سوف حتى دخول المستعمر الذي جعل العاصمة الإدارية للمنطقة في مدينة الوادي (الأعشاش) نظرا لتوسطها قرى سوف [3].

---

[1] المرجع السابق ، ص32.

[2] المرجع نفسه ، ص 34 .

[3] حسونة عبد العزيز ، **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف** ، مرجع سابق ، ص .34

ب – مرحلة بناء الزاوية التجانية :

بتأسيس الزاوية التجانية بقمار عرف عمرانها تطورا ، حيث تحولت إلى مركز اجتماعي وديني ضخم فصارت البلدة قبلة للكثير من مريدي الطريقة وأتباعها من قرى سوف المختلفة ومن بلاد واد ريغ وتماسين وحتى من بلاد الجريد التونسية ، فشهدت نموا سكانيا لافتا وأخذت تتطور باتجاه الشمال ليتأسس الباب الظهراوي ، ومن الناحية الغربية باتجاه حي أولاد أحميد ، وبنيت في كل زيادة مصليات ومساجد أبرزها مسجد العمامرة سنة 1879،الذي كان بمثابة زاوية للطريقة الشابية، ومسجد سي سعيد سنة 1891 الذي يحسب على الطريقة العزوزية ، كما أنشأ مسجد الزرياطة سنة 1892م في الجهة الشمالية [1] .

ويمكن إعطاء لمحة عامّة عن عمرانها المميّز لها والقريب من العمارة العربية والإسلاميّة، فالأبواب (الباب الغربي، والشرقي، والبويبة ، والباب الظهراوي ...) ، والأزقّة المغطّاة ، وتراصّ المنازل المبنيّة أساسا بالمواد المحليّة؛ الجبس والحجارة (اللّوس أو زهرة الرمال) [2].

وهاته المنازل رغم تراصّها وقِلة الأزقة فيها إلاّ أنّه في كلّ بيت تُراعى الطبيعة الصحراويّة والمناخ وتقلّبات الجوّ في الفصول ، و ظروف تخزين الطعام ، وراحة الإنسان بعد العناء والكدح ومقاومة الرمال وعاديات الطبيعة . فاعتُمِد لتسقيف البيت على القبّة لانكسار أشعّة الشمس عليها ، ورفضها لتكدس الرمال ، وانزلاق مياه الأمطار عليها ، ومنْحِها هواءً إضافيّا لطيفا داخل الحجرات [3].

---

[1] المرجع السابق ، ص 36 .

[2] بن سالم بلهادف ، **دور الزاوية التجانية بقمار في نهضة سوف** ، مرجع سابق ، ص 02 .

[3] المرجع نفسه ، ص 02

والغُرَف في البيت توزَّع لاستقبال أشعّة الشمس والسماح بدوران الهواء في المساكن ، وتخصَّص في كلّ بيت غرفة للصيف تتميّز بانحسار الشمس عنها بعد الزوال ، و أخرى يُبنى بها موقد بمدخنته تسمّى (المقعد) ، ولا يخلو بيت من غرفة لاستقبال الضيوف ، وأخرى لتخزين المؤن [1].

وفي الأخير يمكن القول إنّ مدينة قمار تشبه المدن العربية والإسلامية في عمرانها؛ بمساجدها الكثيرة وأسواقها وأزقتها الضيقة وقبابها وأقواسها وأسوارها ... ما شكل فسيفساء جميلة لهذه المدينة.

[1] المرجع السابق ، ص 02 .

الفصل الأول

الزاوية التجانية دراسة تاريخية

- المبحث الأول : مفاهيم أولية
- المبحث الثاني : موقع الزاوية وتأسيسها
- المبحث الثالث : مراحل تطور الزاوية
- المبحث الرابع: الدور الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والديني للزاوية

الفصل الأول :الزاوية التجانية دراسة تاريخية

المبحث الأول : مفاهيم أولية

1- التعريف بالطريقة التجانية :

إنّ المعنى المجرّد للطّريقة يدل على أنّه منهج سلوكي أو منهجيّة لبلوغ مقصد معيّن. وبالمفهوم الصّوفي، الطّريقة هي تصوّر تطبيقي للحياة الرّوحيّة يسعى إلى الرّبط التّوافقي بين الحقيقة والشّريعة في سبيل التقرّب إلى الله تعالى، وذلك ابتغاء تحسين المعرفة بالله لأجل المزيد من الإقبال على عبادته[1] ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2] .

وتعرّف أيضا بأنّها "طريقة سنيّة صوفيّة تمثّل منهج سلوكي من المناهج الإسلاميّة التي ظهرت إبّان القرن الثّامن عشر، ويقوم هذا المنهج على الكتاب والسّنّة ، ويهدف أساسا إلى تزكية النّفس وتهذيبها ، والعمل الصّالح وتقوية الإيمان بالتّقرّب إلى المولى- عزّ وجل- "[3] .

وعليه فهي المدرسة العرفانية التي أسسها الشيخ أحمد التجاني[4] وجعلها سبيلا لتربية الرجال، حيث اتّخذ الزّوايا مقرّا ومركزا لها يباشر فيها التعليم والتربية ، وقد أمر بتأسيس الزوايا في كل

---

[1] محمد النذير التجاني ، **الزاوية التجانية بقمار** ، المرجع السابق ،ص 02 .

[2] سورة العنكبوت ، الآية 69 .

[3] بن سالم بلهادف ، **ترجمة الإمام سيدي الحاج علي التماسيني** ،محاضرة ألقاها في الندوة الجهوية للزوايا والطرق الصوفية ، ورقلة ، 2004 ، ص 04 .

[4] هو أبو العباس أحمد التجاني ولد سنة (1150هـ، 1737م) بقرية عين ماضي بالأغواط بالجزائر، حفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه والنحو واللغة حتى أصبح يدرس ويفتي، ثم مال إلى طريق الصوفية وتبحر في علومهم وأسس الطريقة التجانية سنة (1196هـ ، 1781م) ، ثم سافر إلى فاس سنة 1798م وبقي فيها إلى أن لبى نداء ربه يوم الخميس 17 شوال 1230هـ ،

مكان لتكون مراكزا للتعليم والتربية والتدريب العملي المستمر. فهو بذلك أسّس لمدرسة واحدة توزّعت فروعها في كل أنحاء العالم ؛ منهجها واحد ومبادؤها واحدة ، أسسها واحدة ومصطلحاتها واحدة، مدرسة تسير على خطى ثابتة منذ عهده إلى يومنا هذا لم تتبدّل ولم تتغيّر رغم التغيرات الزمانية والمكانية .

إذن هاته المدرسة تمثل منارة إشعاع فكري وحضاري تنير درب السالكين والقاصدين والباحثين عن الحقيقة.

2- التعريف بالزاوية:

إنّ انتشار الطّريقة يقتضي تأسيس مواقع مميّزة وإستراتيجية لتمكين أولوا العزم من دعاتها إلى التّعريف بها وتلقين أورادها لكلّ من يطلبها من المسلمين عن طيب نفس مع الالتزام بالوفاء لشروطها المنبثقة من الكتاب والسنة. ولهذا الغرض ومن أجل التّعاون الاجتماعي على البرّ والتقوى كما نصّ عليه الكتاب والسنة ، صار من الضروري إنشاء مراكز متخصّصة لبلوغ هذا المرام تسمى زوايا جمع زاوية [1].

أ- لغة :

كلمة الزاوية مأخوذة من الفعل " انزوى، ينزوي " بمعنى اتخذ ركنا محدّدا، فالزاوية تعني تحديد مكان معيّن واتخاذه ركنا للعبادة وللعلم والعمل ، لأنّ الإنسان خليفة الله في الأرض، وهو المسؤول عن عمارتها والإصلاح فيها إرضاء لله تعالى .

1815م . ينظر: الحاج علي حرازم ، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، تح: محمد الراضي كنون ، دار الرشاد، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2011، ص ص 96 ، 97 .

[1] بحيدي حسان ومحمد عبد القادر ، **الزوايا ودورها في حفظ المخطوطات** . مذكرة ليسانس علم المكتبات والوثائق بإشراف : أصحى محمد ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة السانية ، وهران ، 2000 /2001 ، ص 04

والزاوية في البيت ركنه لأنها جمعت قطرا منه ؛ أي جمع زاويته .[1] ولها معاني أخرى متعدّدة ؛ ركن أو موقع أو زاوية هندسية. وقد يكون المعنى الأخير أكثر ملاءمة إشارة إلى الرّمز الذي يقاس به درجة العالمية للإشعاع الرّوحي المنبثق من كلّ زاوية [2] .

وفي كتب اللغة سميت الزاوية بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرّة هم المتصوفة والمرابطين ، اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون اللذان يساعدان على التأمل والرياضة الروحية ، ويناسبان جو الذكر والعبادة ، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت .[3]

ب- اصطلاحا:

إن مصطلح الزاوية "يطلق في شمال إفريقيا على بناء أو مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني، وهي تشبه المدرسة . تحتوي على غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين أو وليّ من الأشراف تعلوه قبة ، وغرفة اقتصرت على تلاوة القرآن الكريم ومكتب أو مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، ثم غرف مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين والطلبة "[4] . ثم عرفت الزاوية بعد ذلك بأنها : "مؤسسة لشيوخ الطرق الصوفية ، يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد واستقبال الزوار الذين يريدون الاستفتاء أو الإصلاح بين المتخاصمين"[5] .

---

[1] المرجع السابق ، ص 05 .

[2] محمد النذير التجاني ، **تاريخ زاوية قمار** ، ص 03 .

[3] صلاح مؤيد العقبي ، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر** ، دار الكتب العلمية ، الجزائر، د ط ، 2002 ، ص 301.

[4] عبد العزيز مصباحي ، **خطاب الزوايا في الجزائر الزاوية التجانية أنموذجا دراسة تداولية** ، إشراف : علي خفيف ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، 2012/2011 ، ص 21.

[5] المرجع نفسه ، ص 21 .

ولكن هناك تعريفا آخرا جامعا وشاملا قدّمه الشّيخ محمد العيد التجاني يرتكز على قطبين هما: المادي والفكري؛ إذ لا يقوم أحدهما بدون الآخر . وعليه تعرّف الزاوية كالآتي[1]:

ب-1- التعريف المادي :

هي عبارة عن مجموعة من المباني والقاعات الخاصّة بالزّاوية، والمنظمة تنظيما محكما والتي تلبّي جميع مقاصد العبد؛ روحيّة، علميّة، عمليّة. إذ تشمل مكانا للصّلاة (مسجد)، وآخر للتعليم (مدرسة قرآنيّة)، وآخر للمطالعة (مكتبة)، وآخر للبحث والتقصّي (فضاء الانترنت)، وآخر للاجتماعات واللقاءات الروحيّة والعلميّة (قاعة المحاضرات)، وآخر لاستقبال الضّيوف والزّائرين (منازل لإيواء الوافدين) .

وهذا التّعدّد والتّنوّع في الهياكل جعل هذه المدرسة جامعة، شاملة؛ منبر علم، وميدان عمل وبيت لله فيه يعبد ويذكر، ما جعلها منارة تهدي النّاس إليها، وضمن استمراريّتها إلى اليوم.

ب-2- التعريف الاجتماعي :

لا يمكن للزاوية أن تؤدي دورها دون وجود كتلة بشرية تعمل فيها وتقوم على شؤونها وتقدم خدماتها للآخرين مهما كان توجههم ، وهذه الكتلة تجمع الشّيخ، المقدّمين[2]، أبناء الزاوية ، والمريدين . وهي تعمل وفق نظام متناسق وغاية في الدّقّة، حيث تتشكّل عبر دائرة متكاملة تنطلق من الشّيخ لتشمل الجميع ثمّ تعود إليه، وداخل الدّائرة حلقات ثلاث :

[1] الشيخ الدكتور محمد العيد التجاني التماسيني ، لقاء مع شيخ الطريقة التجانية حول الزاوية التجانية بين الأصالة والمعاصرة، حاوره: محسن التجاني ونجاح التجاني ، شريط فيديو مصور، تماسين ، 2014 .

[2] مقاديم ، مقدّمون : جمع مقدّم وهو الذي عنده إذن من الشيخ في إعطاء الورد التّجاني للمريدين ، وهو ممثّل الشّيخ في منطقته .

الحلقة الأولى: تتكوّن من الشّيخ والمقاديم (المقدّمين) حيث يتم استقبال طلبات وانشغالات المتعلمين من طرف المقدّم ليقدّمها إلى الشّيخ، ومن ثَمّة الحصول على الإجابة والحلول المناسبة .

الحلقة الثانية: تشمل القائمين على تسيير النظام المعمول به في الزاوية ، وهم المشرفين والعاملين على خدمة الحاضرين مأكلا ومبيتا وغير ذلك. ما يسهّل للمتعلم القيام بعمله، وتقديم طلبه ، ثم الوصول إلى هدفه والحصول على ما يريده من معلومات وغيرها.

الحلقة الثالثة : تضم المريدين وتربط بينهم برباط روحي (المحبّة) وذلك حتى يحدث التّواصل والتّعاون والتّشارك فيما بينهم .[1]

[1] المرجع السابق ، فيديوالشيخ محمد العيد التجاني التماسيني .

المبحث الثاني : موقع الزاوية وتأسيسها

1- الموقع الجغرافي

تقع الزاوية التجانية في الجهة الشرقية من مدينة قمار، شمال شرق الطريق الرابط بين بسكرة والوادي ، وتبعد عن مقر ولاية الوادي بمسافة تقدّر بـ 14كلم[1] .

وقد ذكر الشيخ السايح حقّي مكان بناء هته الزاوية في قصيدته التي يروي فيها تاريخ الطريقة التجانية ، وهي في حدود المئتي بيت ، والتي قال فيها :

فأهل سُوف طلبوا الإذن لهم أن يبتنوا زاوية تقلهم
فقال في شرقية البلاد قد أذن الله بها للبادي
فبنيت غربا بأرض الرابحي لكثرة التّباع والمصالح
ثمّ في قابل مع الزيارة لم يرضها الشيخ ولا مختارة
فقال بل هي في سُوف الشرقي أعني قمار أمرها بحقّ
فقام إذ ذاك الهمام الساسي مدعّما للمركز الأساسي
وكان خطّ بمزايا الجود التونسيّ سيره المشهود
وهي أوّل زوايا مطلقا وفضلها ونفعها تحقّقا[2]

---

[1] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي إلى مقر حلقات الذكر وتدريس القرآن حالة** الدراسة: جزء من الزاوية التجانية . قمار. مذكرة لنيل شهادة الماستر في الهندسة المعمارية تخصص: تراث عمراني ومعماري في الصحراء، كلية العلوم والتكنولوجيا ، قسم الهندسة المعمارية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2014 ، 2015 ، ص10.

[2] بن سالم بلهادف ، **دور الطريقة التجانية بقمار في نهضة سوف والأمصار المجاورة** ، ص 02 .

2- التأسيس :

تأسّست الزاوية التجانية بقمار في الثلاثي الأخير من سنة 1204هـ الموافق لـ 1789م ، على يد المقدم محمد الساسي القماري بأمر من مؤسس الطريقة التجانية الشيخ أحمد التجاني . وقد بنيت على شكل قاعة مربعة طول أضلاعها تسعة أمتار (9م×9م) بمساحة (81 مترا مربعا) على القواعد التي خطّها الشيخ محمود التونسي من الصّحن الشّرقي لبلدة قمار، خارج السّور الحائط بالمدينة وبقيت مدّة ثمانين سنة (1789، 1869) تؤدّى يها الصّلوات الخمس، والذّكر الجماعي للوظيفة صباحا ومساء مع تلاوة حزب من القرآن الكريم صباحا ومساء [1] ينظر : (الملحق رقم 02).

وما يميّز هذه الزّاوية أسبقيّتها من حيث التّأسيس ، حيث تعتبر أوّل زاوية في تاريخ الطريقة التجانية ، ثم تلتها زاوية فاس 1800، ثم زاوية تماسين 1803 ، ثم زاوية عين ماضي 1816.

ويمكن هنا توضيح سبب وطريقة بنائها ؛ حيث أمر الشيخ أحمد التجاني الوفد القماري ببناء زاوية في قمار سنة 1787 ، فانزعج المقدّم محمد الساسي القماري لهذا الأمر خوفا من المعارضة الحادة ضد هذا المشروع من قبل أعيان البلدة الذين ينتمون لطرق صوفية سابقة الانتشار بمنطقة سوف منذ قرون وقد التمس لدى شيخه العذر ليعفيه من هذا الأمر قائلا : إنه يفتقد إلى المال وإلى الجاه لمقاومة المعترضين [2].

ولكن الشيخ أكّد عليه بضرورة إنجاز الزاوية ، ففي أثناء طريق العودة اقترح المقدّم أحمد بن سليمان التغزوتي على المقدّم محمد الساسي القماري بأن تبنى الزاوية في تغزوت التي كانت

[1] المجمع الثقافي للزاوية التجانية ، **الزوايا التجانية** ، تماسين ، 2013 ، ص 02 .

[2] الصادق بن أحمد العروسي التجاني ، **العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج على التماسيني** ، مراجعة : أحمد العروسي التجاني ، المطبوعات الجميلة ، الجزائر ، 2015 ، ص 27 .

تكنّى بقمار الغربية ، وحيث المسافة بينهما لا تزيد آنذاك على ميلين ، فاتّفق الجمع على إنجازها على قطعة أرض يمتلكها أحمد بن سليمان التغزوتي وتمّ البناء سنة 1788 ، وحين وفدوا إلى الشيخ في الزيارة المقبلة أخبروه ببناء الزاوية المذكورة ، فأبى الشيخ هذا الأمر وقال لهم : " لا بل أريدها في الصحن الشرقي من قمار" [1].

ولما رأى تردّد محمد الساسي في هذا الشّأن وتأسّف أحمد بن سليمان على عدم قبول ما أنجزه ، كلّف الشيخ الأكبر أحمد التجاني خليفته محمود التونسي بمرافقتهم إلى قمار للتأكّد من إنجاز الزاوية كما أمر به ، فقدم الجمع إلى قمار واختطّ الشيخ محمود التونسي معالم الزاوية بقدمه وعلى تلك المعالم وضعت الأسس وتمّ البناء في سنة 1789م ، وهي أول زاوية بنيت في تاريخ الطريقة التجانية [2] .

ولابدّ أنّ هناك أسبابا جعلت الشّيخ أحمد التّجاني يأمر بتأسيس أوّل زاوية تجانية في هذه المنطقة بالذّات ، وربّما نعزو ذلك إلى الأسباب التالية [3] :

– أوّلا تكريما لها لكونها مسقط رأس أوّل مريد ومقدّم تجاني من أرض سوف بحيث أنّ محمّد الساسي من أهل قمار، كما أن المريدين الأوائل السّابقين كانوا كذلك من قمار وتغزوت.

– ثانيا لكون بلدة قمار مميّزة بصفتها المركز العلمي بديار سوف، حيث تخرّج منها أحد أئمة المذهب المالكي العلاّمة خليفة بن حسن الشهير (1792/1710) الذي عاصر مؤسّس الطريقة التجانية. وقد تخرجّ على يديه بعض إطاراتها الفعّالة من بينهم العلاّمة القاضي والمقدّم لخضر بن حمانة القماري والعلامة محمّد بن عمارة التغزوتي. وكليهما قاما بالتدريس في المدرسة

[1] المرجع السابق ، ص 27 .

[2] المرجع نفسه ، ص 28 .

[3] محمد النذير التجاني ، **الزاوية التجانية بقمار** ، ص ص 05 ، 06

التماسيّنية في عهد الخليفة الحاج علي التماسيني ثمّ بزاوية قمار في عهد الخليفة الشّيخ محمّد العيد.

– ثالثا أنّ قمار تقع في الطّريق المحوري للتواصل مع مؤسّسة جامع الزّيتونة المركز العلمي والفقهي والثقافي المشعّ على أرجاء تونس وما جاورها من منطقة العرق الشرقي حيث منطقة وادي سوف. وقد كانت المراسلات لا تنقطع بين علماء قمار وعلماء جامع الزيتونة في باب الإفتاء .[1]

المبحث الثالث : مراحل تطور الزاوية

بقيت الزاوية التجانية بقمار على حدودها الأصلية من ناحية العمران ولم تعرف انطلاقة جادّة في التوسّع إلاّ بعد سنة 1855، وذلك في عهد الشّيخ محمد العيد الأوّل ثمّ توالت التّوسعات بعد ذلك ، ثم أعيد بناؤها وتجديدها على الطريقة العصريّة ، ولذا سنتطرق لكل مرحلة على حده .

1– مرحلة التّوسعة :

أ– في عهد الخليفة محمد العيد الأول (1815، 1875):

لما تولى الشيخ محمّد العيد الأوّل[2] نجل الشيخ الحاج علي التماسيني[1] خلافة الطّريقة التجانية ، اتّخذ هو وبعض إخوانه قرية قمار سكنا لهم بجوار الزّاوية وخاصة في فصل الصيف

[1] المرجع السابق ، ص 07 .

[2] هو الشيخ محمد العيد نجل الحاج علي التماسيني ، ولد يوم الثلاثاء 22 صفر 1260هـ الموافق ل12 مارس 1844 بويع بالخلافة يوم الثلاثاء 22 صفر 1260هـ الموافق ل12مارس 1844 ، وهو أول خليفة لوالده ، توفي يوم الجمعة 13 شوال 1292 هـ الموافق ل 12نوفمبر 1875م. ينظر : علي بن محمد غريسي ، أعلام وأختام ، مطبعة كوينين ، الوادي ، الجزائر ، ط1 ، 2013 ، ج1 ، ص ص 13 ، 14 .

،ولذلك قام ببناء مساكن له ولإخوته، ومقرّا خاصّا لاستقبال الضّيوف والوافدين، كما توّج المجمّع العمراني بإنجاز مسجد ومقرّ رئيسيّ لاستقبال الزّوّار والضّيوف سنة 1870. وتمّ هذا الانجاز في صورة تجلّى فيها الجمال العمراني استكمالا للجمال الرّوحي والعلمي والثقافي ممّا جعل صيت الزّاويّة التّجانيّة بقمار يرتفع حتى صارت مقصدا لملاقاة أهل العلم والصّلاح[2] ينظر : الملحق رقم 03.

إضافة إلى ذلك فقد أدخل الشيخ محمد العيد الأول بناء الطابق العلوي لأوّل مرّة في وادي سوف، كما أدخل فنّ النّقش على الجبس، حيث استدعى لهذا الغرض فنّانا متخصّصا من سكّان عين ماضي، هو أحمد بن الطاهر بن بالقاسم التجاني نسبا [3] . وكان هدف الشّيخ محمّد العيد الأول هو تعليم أهل البلاد هذا الفنّ الجديد واختار لذلك أحد أبناء قمار الشّاب عمر قاقه الذي ساهم فيما بعد في بناء ونقش قبّة البريد المركزي بالجزائر العاصمة [4].

كما أنّ قلّة الفنون الصّناعيّة بالمنطقة في تلك الفترة جعلت الشّيخ محمّد العيد الأول يبذل جهدا كبيرا في استيراد الكثير من الحاجيات من أثاث وأبواب ونوافذ مزيّنة بنقوش حديدية من القطر التونسي الشّقيق على متن الجمال عبر الطرق الصّحراوية الوعرة[5] .

---

[1] ولد الشيخ الحاج على التماسيني سنة 1180هـ الموافق لسنة 1766م ، ونشأ في بيئة مشبعة بالورع والتصوف وكان تقيا ورعا ميالا للعزلة والعبادة، وقبل وفاة الشيخ أحمد التجاني رضى أخبره أنه الخليفة للطريقة التجانية من بعده ، توفي يوم الثلاثاء 23صفر1260هـ ، الموافق ل12مارس 1844 .علي بن خليفة ، العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني ، مطبعة دار الجائوة ، الجزائر ، ط1 ، 2015 ، ص 32 .

[2] محمد النذير التجاني ، **الزاوية التجانية بقمار** ، ص 07 .

[3] مأخوذ من النص الذي بالجدار فوق المحراب بمسجد سيّدي أحمد عمّار.

[4] محمد النذير التجاني ، **الزاوية التجانية بقمار** ، ص 07

[5] المرجع نفسه ، ص 07 .

ويمكن تلخيص ما أنجزه الشيخ محمد العيد الأوّل في فترة خلافته :

– بناء مسجد سيدي أحمد عمار(مسجد الزاوية) شمال الزاوية الأصلية (9×9).

– بناء المسكن العائلي أو المقر الاجتماعي للزاوية ، وهو ما يعرف بسطح سيدنا الذي يحيط بالزاوية الأصلية من الجوانب ومن الأعلى .

– بناء بعض المرافق الملحقة؛ مدرسة قرآنية، مرافق الاستقبال والإيواء وبعض المساكن في الجهة الغربية .

ويمكن القول إنّ هذه التوسعة جاءت لتقدم بعدا جديدا في الفخامة والاعتناء بما يتناسب مع قدر الطريقة لدى المريدين ولدى الخليفة حينها ، وذلك على عكس الزاوية الأصلية (9×9) التي كانت بسيطة ومتواضعة في بنائها ، وقد ظهر ذلك في ارتفاع قبة المسجد 10م وارتفاع الطابق الأول . سطح سيدنا. 4 م، والذي كان أول طابق علوي يبنى في منطقة الوادي، وتعزيز الزاوية بالزخارف والنقوش المنحوتة على الجدران وقد شكلت مجموع تلك المباني في تلك الفترة كتلة محصنة بمدخل رئيسي وذلك لدواعي أمنية [1] .

ب– في عهد الخليفة الشيخ محمد حمه: (1844، 1912)

بعد تولي الشيخ محمد حمه[2] خلافة الطريقة التجانية، عمل على استكمال ما بدأه أسلافه من إنجازات معماريّة معلميّة ، حيث بدأ في توسيع الزاوية إلى الشرق والجنوب، وإلى جانب اهتمامه بالجانب العمراني ركز على الجانب الاقتصادي والاجتماعي للزاوية فاعتنى كثيرا

[1] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، ص 12 ، 13 .

[2] وهو الشيخ محمد نجل الشيخ سيدي محمد العيد ولد 1260 هـ الموافق لسنة 1844م حفظ القرآن وتعلم العلوم على يد كوكبة من العلماء بويع بالخلافة يوم الأربعاء 6 ذي الحجة 1310هـ الموافق ل1جوان 1839م توفي يوم الاثنين 6 محرم 1331 الموافق ل16 ديسمبر 1912م . ينظر : علي بن محمد غريسي ، أعلام وأختام ، ص ص 33 ، 34 .

بغرس النخيل الذي يعدّ مورد مال في تلك الحقبة . ولكن هنا سوف نركز على إنجازاته العمرانية ، ومن ذلك [1]:ينظر : (الملحق رقم 04)

– بناء مقر اجتماعي جديد للزاوية من طابق أرضي – الدار الخضراء – سنة 1890 م .

– بناء الحوش الشرقي ، وهو مطابق للزاوية التجانية بتونس . وقد تم ترميمه حديثا وهو يمثل تحفة معمارية فريدة .

الشيخ محمد العروسي[2] : (1817 ، 1892)

وهو ابن الخليفة الثاني للطريقة التجانية الشيخ محمد الصغير، وقد عمل في مطلع القرن العشرين مع ابن عمّه الخليفة الشيخ محمّد حمّه ، حيث كان عضده الأيمن . وقد أنجز في الفترة الواقعة بين سنة 1892 وسنة 1920 مجمّعات عمرانيّة بقي أثرها إلى يومنا هذا؛ منها المدخل الرئيسي للزّاوية بساحتين للاستقبال وقصر الضيافة ومسجد وبجانبه ضريح ضمّ أعظمه. كما اهتمّ بتحسين وجه الزاوية بقمار وخاصّة بعدما اتخذ قراره بالإقامة الدائمة بها

[1] شوية محي الدين ، المرجع السابق ، ص 29 .

[2] هو العلاّمة والشّيخ الفاضل محمّد العروسي المدعو حمّه عروسي بن الخليفة الشيخ محمّد الصغير نجل الشيخ الحاج علي التماسيني. ولد بتماسين سنة 1852 واستوطن مدينة قمار منذ سنة 1855. حفظ القرآن العظيم وحذقه في صباه على يد المربي الشيخ محمّد الطيّب الشنقيطي. كما عني والده وعمّه الخليفة الشيخ سيدي محمّد العيد بتربيّته الرّوحيّة. وأخذ العلوم الدّينية والفقهيّة واللغة العربيّة على العديد من مشايخ العلم اشتهر الشيخ محمّد العروسي بالذوق الرّفيع في الهندسة المعماريّة والإبداع في هذا الميدان. وكان يستلهم من المباني الأندلسيّة التي شهدها في تونس العاصمة والرومانيّة التي شهدها في تمقاد وغيرها في الشمال الشرقي ثمّ يعطيها بصمة صحراويّة تعكس شخصيّته وخصوصيّات البيئة التي هو فيها. ويشهد على ذلك القبّة الهرميّة التي هو أوّل من أنجزها بولاية وادي سوف وقوس النّصر القائم في ساحة الاستقبال . توفى محمّد العروسي في 12 أفريل 1920 بقمار عن عمر يناهز ثمان وستون سنة حافلا بالإنجازات العلميّة والعمرانيّة . ينظر : الزاوية التجانية بقمار ، المجمع الثقافي للزاوية التجانية ، قمار ، الوادي ، 2007 ، ص 02 .

بطلب من ابن عمه الشيخ محمّد حمّه ، وذلك حتى تكون الزاوية عامرة باستمرار برجال يحرصون على إشعاعها الرّوحي والاجتماعي والحضاري [1] ينظر : (الملحق رقم 05).

إنّ إقامة الشيخ حمه العروسي في الزاوية التجانية بقمار جعلته الشخصية الأكثر تميزا فيها، سواء على مستوى المعماري أم العمراني . وتعتبر إنجازاته إعادة هيكلة لنسيج الزاوية القديم والحديث، وهو عمل إبداعي مميز يظهر ذلك من خلال :

أ – المستوى العمراني :

إعادة هيكلة لمجمع الزاوية (الزاوية وساحة الصلاة، المصلى ،القصر الهرمي، الضريح، المدرسة ومجالات الاستقبال. وإدماج المباني القديمة مع المشاريع الحديثة المنجزة من طرف سيدي حمة العروسي، وذلك وفق هيكلة عمرانية حديثة. حيث تمّ استغلال المجال في أكمل صورة ؛ طرقات عريضة، ممرات مغطاة تنفتح على ساحات، والأخرى تؤدي إلى المرافق طبقا للتراتبية في الموصولية الجد عقلانية[2] .

ب – على المستوى المعماري :

– "المصلى" في شمال وساحة دار الخضراء في الجنوب. وهي الممرات نفسها التي استوحى منها المعماري Pouillon في مشروعه في سيدي فرج بالعاصمة [3].

[1] محمد النذير التجاني ، **تاريخ زاوية قمار** ، ص 08 .

[2] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، ص 14 .

[3] ناقص مروة ،**إعادة تأهيل القصر الهرمي مقر تدريس القرآن ، حالة الدراسة : جزء من الزاوية التجانية قمار** ، مذكرة ماستر في الهندسة المعمارية ، تخص تراث عمراني ومعماري في الصحراء ، كلية العلوم و التكنولوجيا ،قسم الهندسة المعمارية ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016، ، ص 35 .

– القصر في الطابق العلوي، الذي يعد تحفة معمارية في تصميمه وزخارفه وخصوصا في تصميم القبة الهرمية المميزة ، حيث أنجز الشيخ حمة العروسي قبة خارجة عن المألوف فوق قاعة استقبال الضيوف، القبة على شكل هرم ذو قاعدة رباعية، هذا التصميم الغريب عن العمارة المحلية استلهمه سيدي حمة –حسب تصريحه– من مشاهدته لخنفساء في الصحراء وهي تكوم الرمل على شكل هرم، مما دفعه لرفع التحدي وإظهار العبقرية الهندسية في ذلك الوقت [1].

– الإنجاز الثاني يمثل المسجد الذي يحمل اسمه والموجود في الناحية الشرقية ويوجد بجواره مقبرة تضم ضريحه، بالإضافة إلى قبور بعض أفراد عائلته.

– على الطريق الرئيسي داخل مجمع الزاوية الموسع، قام بإظهار المدخل الرئيسي للزاوية بإنجاز ساحة تؤدي إلى بوابة ضخمة بارتفاع 5 أمتار.

– إنجاز آخر مميز في هذه الحقبة ويتمثل في النفق الأرضي المخصص لحركة النساء بين أجنحتهن داخل سطح سيدنا إلى حوش الشيخ محمد العروسي [2].

في عهد الشيخ محمد العيد [3] : (1865 ، 1921)

وهو ابن الخليفة الثاني للزاوية التجانية الشيخ محمد الصغير ، وقد تزامنت إنجازاته مع إنجازات التوسعة التي كان يقوم بها أخوه الشيخ حمة العروسي، قام الشيخ محمد العيد بإنجاز

[1] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، ص 14 .

[2] ناقص مروة ،المرجع السابق ، ص 36 .

[3] هو الشيخ محمد العيد نجل الخليفة الشيخ محمد الصغير التجاني ، وأخو الشيخ محمد العروسي ، ولد سنة 1865 ، حفظ القرآن الكريم وتلقى علوم الفقه واللغة والنحو على شيوخ وعلماء الزاوية ، قام بتشييد مجمع عمراني فاخر بزاوية قمار سنة 1900 م يعرف باسم (حوش أسيادنا) حيث كان مخصصا لتعليم القرآن العظيم ، وتدريس الفقه واللغة العربية ، إلى جانب المجالسات الأدبية والثقافية ، فكان بحق مركزا ثقافيا . توفي الشيخ محمد العيد سنة 1921 . ينظر : الزاوية التجانية بقمار ، المجمع الثقافي ، مرجع سابق ، ص 02 .

مجمع عمراني فخم عرف ب"حوش أسيادنا". وهذا المجمع ذو طابع اجتماعي تربوي، حيث يتكون من مدرسة قرآنية، وفضاء للقاءات الثقافية والعلمية، إضافة إلى محلات استقبال الضيوف. ويعتبر حوش أسيادنا نسخة مجسمة عن مخطط زاوية سيدي علي بن بلقاسم الرزقي الموجودة في باب منارة بتونس [1] ينظر (الملحق رقم 06).

وخلال هذه المرحلة تم توسعة الجهة الشمالية لجامع سيدي أحمد عمار، بإنجاز سقيفة "سلام ظهراوي" أمام مدخل المسجد بالإضافة لمجالات مغطاة (غرف) مخصصة لمدافن عائلات الخلفاء وذلك بعد تمام استغلال الضريح . ولعل طبيعة هذا المجال كمدافن هي السبب في كون عملية البناء كانت متواضعة وغير متممة [2].

وفي الأخير يمكن القول إنه بالتوازي مع الحركية العمرانية التي تمت على مستوى مرافق الزاوية وخلال كل المراحل المذكورة كانت هناك حركية عمرانية على مستوى السكن. حيث تم انجاز مساكن فردية تباعا حول محيط الزاوية مما أدى إلى التحامها بمدينة قمار [3].

ومن جهة أخرى ستسجل سنة 1920 نهاية التوسع العمراني للزاوية (البناءات المخصصة للزاوية) مما أعطى للزاوية صورتها النهائية إلى غاية 2004 حيث تمت مباشرة الأشغال بإنجاز مجمع قرآني وثقافي في مكان الحوش الشرقي .

[1] شوية محي الدين ، المرجع السابق، ص 32 .

[2] ناقص مروة ، المرجع السابق ، ص 37 .

[3] المرجع نفسه ، ص 37 .

2- مرحلة التجديد :

أ- في عهد الخليفة الشيخ محمد البشير الثاني[1] : (1918- 2000)

لا يعدّ تجديدا ولكن ترميما للأجزاء المتضرّرة من الزاوية ، وتمثّل هذا التدخل في هدم سطح مسجد "سيدي أحمد عمار" المتضرر أصلا بفعل تسرب المياه ، وتمّ استبدال السطح المكون من العقود المتقاطعة إلى سقف من القباب النصف البيضوية. وقد وضع هذا التدخل حدا لاستغلال السطح كما أدى إلى تغيير الطابع المعماري الأصلي للمسجد .

د- في عهد الخليفة الشيخ محمد العيد الثالث[2] :

عند توليه الخلافة سنة 2000 اتخذ الشيخ محمد العيد الثالث قرارا بتجديد المباني القديمة للزاوية ، والتي كانت مهجورة لعدّة أسباب منها؛ عدم استجابتها للشروط العصرية للسكن من

[1] الشيخ محمد البشير التجاني نجل الشيخ محمد العيد الثاني نجل الشيخ محمد البشير نجل الشيخ محمد حمه نجل الشيخ محمد العيد الأول نجل الشيخ الحاج علي التماسيني ووالدته السيدة أمباركة بنت الشيخ أحمد العروسي نجل الشيخ عرابي نجل الشيخ محمد العيد ولد عام 1336 هـ الموافق لـ 1918 م حفظ القرآن الكريم وتعلم مختلف العلوم الشرعية على الشيوخ منهم الشيخ اللقاني وسي أحمد بن السّا وأخوه الطاهر القماريين تولى إمامة المسجد بعد وفاة الشيخ عرابي ، بويع بالخلافة يوم الثلاثاء 14 صفر 1398 هـ الموافق ل 24 جانفي 1978 م خلفا للشيخ أحمد التجاني التماسيني ، انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الجمعة 01 شوال 1420هـ الموافق ل 07 جانفي 2000 م بالجزائر العاصمة وقُبر في قبة ضريح الإمام التماسيني . ينظر : علي بن محمد غريسي ، أعلام وأختام ، مرجع سابق ، ص ص 77 ، 78 .

[2] الشيخ محمد العيد الثالث نجل الشيخ محمد البشير نجل الشيخ محمد العيد الثاني نجل الشيخ محمد البشير نجل الشيخ محمد حمه نجل الشيخ محمد العيد الأول نجل الشيخ الحاج علي التماسيني ، والدته السيدة خديجة بنت الخليفة الشيخ أحمد التجاني التماسيني ، ولد يوم الجمعة 04 رمضان 1373 هـ الموافق ل 07 ماي 1954 م بتماسين، حفظ القرآن على يد الطالب علي خير الله والطالب العيد برير، واصل دراسته العلمية من الابتدائي حتى اكتمل بحصوله على شهادة الدكتوراه في الفيزياء الصلبة من جامعة باريس 02 ، تقلد مناصب بجامعة قسنطينة من 1978م حتى 1999 م ، وبعد انتقال والده للرفيق الأعلى بويع بالخلافة يوم الجمعة 01 شوال 1420 هـ الموافق ل 07 جانفي 2000م وهو شيخ الطريقة التجانية الحالي مواصلا مشوار أسلافه . ينظر : علي بن محمد غريسي ، أعلام وأختام ، مرجع سابق ، ص 81 ، 82 .

جهة ، وكثرة الورثة من جهة أخرى . الشيء الذي يمنع اللجوء إلى عملية التّرميم في الآجال المحدّدة.

فشملت عملية التّجديد هذه المقر الاجتماعي للزاوية الذي بناه الخليفة الشيخ محمد حمة سنة 1890م ، وأعيد بناء الدّار الخضراء أوّلا ، حيث دشّنها الخليفة الشيخ محمد العيد الثالث سنة 2001 في احتفال رمزي ألقى فيه كلمة توجيهية بالمناسبة حدد فيها الرؤى المستقبلية لدور الزاوية في المجتمع [1].

وفي بداية جويلية 2003 شُرِع في عملية كبرى لترميم الواجهة الوسطى للزاوية التي شيدها الشيخ محمد العروسي على طول الطريق الرابط بين قصر القبة الهرمية ، والمجمع (المسجد والضريح) غربا وشرقا . وتوسعت عملية الترميم لتشمل دار الضيافة للشيخ محمد العيد من سبتمبر 2003 إلى فيفري 2004 [2].

ثم واصل الشيخ محمد العيد الثالث مشروعه لتجديد الزاوية بقمار وإعادة بعث رسالتها العلمية والحضارية من جديد استجابة لمتطلبات العصر ، ومسايرة للتطور وفقا لوصية مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التجاني القائل "بسير زمانك سر". حيث يحتوى هذا المشروع على مجمع ثقافي يتكوّن من مدرسة عصرية لتعليم القرآن الكريم ، ومكتبة كبيرة لاستقبال الطلبة والباحثين ، إضافة إلى تجديد المقر الاجتماعي للزاوية [3].

وقد انطلقت عملية التهيئة الأرضية للمكتبة والمدرسة القرآنية في 14 أوت 2004 ، وانطلقت أشغال البناء في 24 أكتوبر 2004 . وأما بالنسبة للحوش الشرقي الذي يمثل المقر الاجتماعي

[1] المجمع الثقافي للزاوية التجانية ،**الزوايا التجانية** ، بتماسين ، ص 03 .

[2] المرجع نفسه ، ص 03 .

[3] المرجع نفسه ، ص 04 .

للزاوية فقد تمت إزالة مبانيه القديمة في 30/29 جانفي 2006 وانطلقت الأشغال به في 12 فيفري 2006 باستثناء مقعد الخليفة الشيخ محمد البشير التجاني الذي كان قابلا للترميم، فلم يهدم حتى يبقى كشاهد أثري نموذجي [1] .

اهتمّ الشّيخ الحالي محمّد العيد الثالث بتجديد الزاوية التجانية بقمار على غرار ما فعله أسلافه الذين تركوا بصماتهم في بناء مجدها الأصيل، وفي هذا السّياق تمّ تدشين المجمّع الثقافي الجديد بالزاوية التجانية بقمار في يوم 02 نوفمبر 2008 . كما تمّ افتتاح مكتبة علميّة بالمجمّع الثقافي في جانفي 2009 وهي تحتوي على ما يقارب ثمانية ألاف عنوان في مختلف العلوم منها الدّينيّة والعلميّة والإنسانيّة والتّاريخيّة والاقتصاديّة واللغويّة في انتظار إنجاز مركز وثائقي ثقافي عصري [2] ينظر : (الملحق رقم 07).

وبمساهمة وزارة الثقافة تمّ تجهيز هذا المجمّع الثقافي للزاوية التجانية بقمار بعدّة وحدات من الحواسب المعلوماتيّة وآلات النسخ من أجل إفادة طلبة الثانوي والأقسام الجامعيّة بما يريدون استنساخه من الكتب. كما فتحت سنة 2013 قسما للروضة داخل المدرسة القرآنيّة، وقسما للأطفال المصابين بمرض التوحد لمساعدتهم في الخروج من عزلتهم وإعادة إدماجهم في سلك التّعليم . كما فُتح أيضا بالمجمّع الثقافي مكتبا للهلال الأحمر الطلابي لمساعدة ذوي الحاجات من اليتامى والمساكين [3].

[1] المرجع السابق ، ص ص 03 ، 04 .

[2] محمد النذير التجاني ، **تاريخ زاوية قمار** ، ص 11

[3] المرجع نفسه ، ص 11 .

المبحث الرابع : الدور الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والديني للزاوية

قد واكب التشييد العمراني للزاوية التجانية بقمار نهضة علمية وثقافية متميزة شيّد صرحها علماء أجلاء من داخل وخارج الوطن[1] .

وهذا يعني أنّ الزّاويّة التّجانيّة بقمار لعبت دورا دينيا واجتماعيا كبيرا في المناطق الرّيفيّة المجاورة والقريبة منها، حيث كان يلجأ إليها النّاس للإيواء، والتّداوي، وحلّ الخلافات، والتّبادل؛ فهي تمثل مأوى، مستشفى، محكمة، مدرسة، وزاوية فكلها مجتمعة فيها في الوقت نفسه من أجل خدمة المجتمع. وهنا سنوضح هذا الدّور الرّيادي الذي احتلته منذ تأسيسها إلى اليوم .

1- الدور الديني :

لعبت الزاوية التجانية دورا مهما في المنطقة وخاصة في فترة الاستعمار الفرنسي، حيث حافظت على الهويّة الإسلامية للفرد الجزائري من خلال المحافظة على الدّين الإسلامي واللغة العربيّة، وتجسّد ذلك في تدريس العلوم الشرعية وفي مقدّمتها القرآن الكريم والفقه بالإضافة إلى الحديث النبوي الشريف وعلوم اللغة العربية والسيرة النبوية والتصوّف. أيّ تكوين ديني بأبعاد ثلاثة (العقيدة الأشعرية ، فقه الإمام مالك ، التربية بالطريقة التجانية)

- عقيدة أهل السنة والجماعة والمتمثلة في العقيدة الأشعرية
- فقه إمام المدينة المنورة مالك بن أنس رضي الله عنه
- طريقة التربية والتزكية الروحية المتصلة بالإمام الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه[2] .

وفي ذلك يقول إبراهيم بن محمّد الساسي العوامر في كتابه (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف) : " وإخلاصا للحقيقة التاريخية، إنّ رجال الزاوية التجانية قاموا بدور عظيم في سبيل

[1] علي غريسي، **منطقة سوف الحاضنة الأولى للطريقة التجانية** ، مجلة قطوف دانية ، العدد الأول، 2016 ،ص 09

[2] السعيد عقبة ، **الزاوية التجانية بقمار** ، محاضرة ألقيت يوم23 أكتوبر 2003 ، ص 03 ،04 .

حفظ القيم الإسلامية والروح العربية في هذه الربوع، متنوا الصلة الثقافية بين علماء تونس وأهل واحات تقرت. كانت الصلة بين الزاوية التجانية المذكورة وتونس متمثلة في انتشار المبدأ التصوفي للولي الصالح الشيخ أحمد التجاني بتونس بواسطة الولي الصالح الشيخ الحاج علي التماسيني وخلفه."[1]

2- الدّور العلمي والتّعليمي :

عرفت الزاوية التجانية بقمار بنشاطها العلمي والثقافي، حيث كانت مركزا مهما من المراكز الثقافية المنتشرة في الجزائر، وقد بلغ نشاطها العلمي والفكري شهرة واسعة في الجزائر وخاصة في البلدان المجاورة كتونس والمغرب الأقصى وغيرها من من البلدان. وتعود هذه الشهرة والتفوق إلى مجموعة من العوامل نوجزها فيما يلي :

- **عناية شيوخ الطريقة التجانية بالعلم والعلماء:** وكان لشيوخ الطريقة اهتمام خاص بالعلم وأهله في زاوية قمار وتماسين وعين ماضي، حيث قربوا العلماء والفقهاء والأدباء "فكانوا يجلسون إليهم ويحضرون مجالسهم العلمية، وقد كان خلفاء الطريقة التجانية يشجعون هؤلاء العلماء على الاجتهاد في التدريس وتنشيط الحركة العلمية والفكرية ، بل كانوا يشرفون على مجالس الدروس و الحلقات العلمية "[2] .

- **الرحلة العلمية:** "كان الاهتمام بالرحلة العلمية وما تشكله من قيمة كبيرة في التحصيل والتكوين كبيرا، وكان الإقبال على الارتحال والتنقل بين الحواضر والمدن رغبة في طلب العلم،

[1] إبراهيم العوامر. **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، ط1، تونس، الدار التونسية للنشر ، 1977، ص32

[2] السعيد عقبة ، **النشاط العلمي والثقافي للزاوية التجانية بقمار خلال القرنيين 19و20م** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الثامن ، ديسمبر 2016 ، ص 171 .

وطلبا للاستزادة الفكرية، أمران مهمان حيث غدت الرحلات العلمية من أهم خصوصيات الثقافة العربية الإسلامية "[1].

ولقد شهدت الزاوية التجانية بقمار توافد الكثير من العلماء من مختلف الأقطار، كما شد طلاب العلم من أبناء الزاوية من قمار وتماسين رحالهم إلى مختلف الحواضر العلمية، خاصة إلى المعهد الزيتوني بالجمهورية التونسية الشقيقة .

وهذا يعني أنّ الزاوية التجانية بقمار حملت لواء العلم والمعرفة ، وذلك بتشجيع الناشئة على التعليم ، فهي على غرار جميع الزوايا التابعة للطريقة التجانية ، صباحها عامر بالصبية للقرآن الكريم وحفظه في الصدور وعلومه وتفسيره والسنة النبوية الطاهرة ونشرها في أوساط الناشئة . وقد نقل تاريخ سُوف أنّ أوّل مدرسة نظامية احتضنتها المنطقة كانت بالزاوية التجانية حيث يقدّم فيها مختلف المعارف بالطريقة الحديثة التي تعتمد على تنوع المعارف والطرق التربوية والبيداغوجية الحديثة [2].

كما أرسلت وفودا من أبنائها ومريديها إلى جامعة الزيتونة لينهلوا من مختلف المعارف الدينية و اللغوية ، إضافة إلى ذلك فقد شجّعت على فتح المدارس القرآنية .

وعليه فقد كانت الزاوية التجانية بقمار من أبرز الزوايا التي تخرّج منها الكثير من العلماء من أهل قمار الذين تخصّصوا في مجالات عديدة كالتّدريس والقضاء والشعر، وقد درّس بعضهم بالزاوية ومن هؤلاء [3] :

- الشيخ الأخضر بن حمانه القماري

[1] المرجع السابق ، ص 171 .

[2] بن سالم بلهادف ، **الزاوية التجانية بقمار** ، المرجع السابق ، ص 3 ، 4.

[3] السعيد عقبة ، **الزاوية التجانية بقمار** ، مرجع سابق ، ص 06

- الشيخ محمّد العروسي وابنه محمّد السائح
- الشيخ أحمد دغمان القماري
- الشيخ محمّد بن البرية القماري
- الحاج علي بن القيم القماري
- الشيخ العيد بن أحمد بن سعّد القماري
- الشيخ محمّد بن عمّار القماري
- الشيخ المبارك المازق القماري أصلا الجريدي التوزري منشأ ودارا
- الشيخ محمّد بن جديدي الوادي
- الشاعر الفقيه محمّد اللقاني بن السائح الطيباتي .

2- الدور الاجتماعي :

لقد ساهمت الزاوية التجانية بقمار في الحفاظ على النسيج الاجتماعي في المنطقة، حيث تجسّد هذا الدور في التكافل الاجتماعي من خلال فتح أبواب الزاوية للمحتاجين والفقراء وعابري السبيل، خاصة في أوقات الأزمات الاقتصادية وفي المناسبات والأعياد حيث خصّصت طاحونة للقمح لتملأ قصعة الطعام يوميّا للمحتاجين و ذوي الخصاصة ، الذين يؤمّونها فيجدون فيها الشبع بعد الجوع ، والأمن بعد الخوف ، والراحة والطمأنينة بعد الحيرة والاضطراب [1].

إضافة إلى ذلك عملت الزاوية على نشر روح التسامح والتراحم بين الناس عملا بالكتاب والسنة ووصايا مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التجاني وخليفته الشيخ الحاج علي التماسيني كذلك

[1] بن سالم بلهادف ، **الزاوية التجانية بقمار** ، المرجع السابق ، ص 04.

إصلاح ذات البين وحل الخصومات، حي أنّ أكثر النزاعات كان يفصل فيها مقاديم الزاوية وأعيانها.[1]

3- الدّور الاقتصادي :

ظهرت صناعة الزرابي في سوف بالزاوية التجانية بقمار سنة 1890 ، حيث استقدمتها من بلاد النمامشة ، واستقدمت أيضا من يقوم بهته المهمّة . ثم اشتهرت هته الحرفة اليدوية سريعا لأنّها وجدت استحسانا في الأوساط الشعبية . وبعد سنين قليلة حلّ بهاته الربوع المدعو إبراهيم غريب النسّاج القسنطيني – وهو من أصل تونسيّ – الذي قدِم إلى قمار مع عائلته وفتح ورشة لصناعة الزرابي ، وفي سنة 1906 فتح قسم (حجرة تكوين مهني) في مدرسة قمار لتعليم هته الحرفة . بعدها أخذتْ زربيةُ سُوف طابعها المحلّي بمواد أوّلية محلّية ، واشتهرت بجودة صوفها ووبرها وعُقَدِها المتينة (256 عقدة في دسم2) ، كما عُرِفت بانسجام ألوانها حيث جمعت بين الأبيض والأسود والبنّي والرمادي [2].

وفي سنة 1870م استدعى الخليفة الشيخ محمد العيد الأوّل من مدينة عين ماضي بنّاءً أخصّائيا في النقش على الجبس . هذا البنّاء الذي أبدعت أنامله على جدران المسجد وعلى جميع واجهات اللواحق ، وتأثّر به البنّاؤون من منطقة سوف فتعلّموا على يديه وساروا على نهجه ، بل وطوّروا عملية النحت والزخارف . وانتشرت هاته النقوش في البداية في المساجد ، ثمّ انتقلت لتعُمَّ واجهات البيوت . وانبهرت السلطات الاستعمارية بأنامل أهل سُوف وإبداعهم ، وخاصّة البنّاء الشهير " قاقه عمر" – الذي هو من أهل قمار – فأرسلَتْه إلى الجزائر العاصمة ليضفي على البريد المركزي جمال النحت على الجبس ، ثمّ أرسلته إلى فرنسا ذاتها . وبعد

[1] السعيد عقبة ، **الزاوية التجانية بقمار** ، ص 04 .

[2] بن سالم بلهادف ، **الزاوية التجانية بقمار** ، المرجع السابق ، ص 03.

الاستقلال فتحت ورشة في معهد التكوين المهني لهذا الغرض قصد تعميمه ونشره في كامل التراب الوطني [1].

4- الدّور الثقافي :

يبرز الدور الثقافي والفني للزاوية التجانية من خلال :

أ- **فن القصيد والمدائح الدينية :** التي كانت تؤدّى في الاحتفالات بالمولد النّبوي الشّريف وفي المناسبات الدّينيّة الأخرى، فهذا من جهة نشّط حركة شعريّة في المنطقة ، حيث كثر عدد الشعراء الذين نظموا القصائد الشعرية في مدح الرّسول –صلى الله عليه وسلم- وفي مدح شيوخ الطريقة التجانية .

ومن جهة أخرى فقد هذّب الذوق لأنّ هذا الفن الجميل الممتع الطاهر يعد هو البديل الأحسن لانحراف الناس نحو الفن الماجن الممنوع شرعا [2].

ب- الفن المعماري : ويظهر في فن النقش وفن العمارة الإسلامية اللذين انتشرا في المنطقة بفضل الزاوية التجانية ، وبذلك منحت المنطقة بعدا جماليا في العمران إلى جانب بعدها الصحراوي .

[1] المرجع السابق ، ص 03 .

[2] عبد الباقي مفتاح ، **الزاوية التجانية بقمار** ، الندوة الفكرية الثانية للشيخ عبد القادر الياجوري ، من 09 إلى 11 أكتوبر 2001 ، قمار ، ص 09

وخلاصة القول إنّ الزاوية التجانية مدرسة تطبيقيّة أكثر منها نظرية، حيث تعدّدت مجالاتها وتنوّعت، فشملت فروعا كبرى تعدّ مؤسّسات قائمة بذاتها، ويمكن توضيح ذلك كما يلي :

– مؤسسة علميّة : منذ تأسيسها أخذت على عاتقها تعليم القرآن الكريم والحديث الشّريف وعلومهما، واللغة العربيّة؛ نحوها وصرفها، والحساب وما إلى ذلك. فهي مدرسة علميّة تسعى إلى نشر العلم بين طلابها أوّلا ، ثمّ توجيههم إلى نشره في كل بقاع العالم.

– مؤسسة دينية : تعكف هذه المدرسة منذ إنشائها على تحقيق عبادة الله – عز وجل– في بيوته بالصّلاة، والذّكر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1].

إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة دوما، وذلك بفضل الرجال الذين تخرّجوا منها وواصلوا المسيرة فيها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [2] .

– **مؤسسة خيرية** : درجت هذه المدرسة على مساعدة الفقراء والمحتاجين في كل عصر والأمثلة على ذلك لا تعدّ ولا تحصى، حيث يردّد الشيخ أحمد التجاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنفق بلالا ولا تخف من ذي العرش إقلالا"[3] . وهي دعوة للإنفاق الدّائم ، وهذا كان دأبه دائما، فلا يترك شيئا لنفسه، كذلك دأب خليفته الشيخ الحاج علي التماسيني الذي ذبح

[1] سورة النور، الآية 36 ، 37 .

[2] سورة الأحزاب ، الآية 23 .

[3] البيهقي الحافظ أبو بكر ،الجامع لشعب الإيمان ، تح: عبد العالي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، السعودية ، ط1 ، 2003 ، رقم الحديث 1393 .

عنزته الوحيدة لأجل إكرام الضّيوف، وكذلك ما قدّمه خلفاؤه وأبناؤه وأحفاده من بعده ومنطقة وادي ريغ ووادي سوف وغيرهما يشهدون على ذلك خاصّة في حقبة الاستعمار.

– **مؤسسة ثقافية** : اهتمّت هذه المدرسة بالفنون الثّقافيّة من خلال ممارسة الإنشاد والموسيقى والسّماع الصّوفي الذي ينمّي الذّوق ويرهف الحسّ والوجدان .

– **مؤسسة اقتصادية** : شجّعت هذه المدرسة على الحرف والصناعات التقليدية، حيث جلبت العديد من أصحاب الحرف لتعليم أبنائها وتشجيعهم على ممارستها ، كمثال على ذلك جلب الشيخ محمد العيد الأوّل من ينقش على الجبس ، فكان أوّل من يدخل هذه الحرفة (النقش على الجبس) إلى مدينة الوادي، فتعلم أبناؤها الحرفة ولا زالوا يمارسونها إلى هذا اليوم .

وفي الأخير إن المتأمل لهذه الزاوية التجانية يجد أنّها شاملة تشمل كل جوانب الحياة الإنسانية، وتتبع المنهج الرّباني المسطر في القرآن الكريم، والمجسّد في السنّة النّبويّة المطهّرة، والمتمثل في المنهج العرفاني ذي المبادئ العالية (العلم والعمل والعبادة) والتي يستحيل أن تجدها مجتمعة في غير هذا المنهج، ناهيك عن الجانب التنظيمي المتميّز الذي ينبئ عن بصيرة وحنكة وقدرة فائقة على التخطيط والتنفيذ ؛ لهذا يمكن اعتبارها النّواة الأساسيّة لصناعة الفرد المسلم، والساعية إلى تحقيق النهضة الإسلاميّة .

الفصل الثاني

الزاوية التجانية دراسة معمارية

- المبحث الأول : مفاهيم حول العمارة والعمران
- المبحث الثاني : أهم معالم الزاوية
- المبحث الثالث : مواد البناء وتقنياته

الفصل الثاني : الزاوية التجانية دراسة معمارية

المبحث الأول : مفاهيم حول العمارة والعمران

1- تعريف العمارة :

أ- **لغة :** ورد في لسان العرب " عَمَرَ الله منزلك يعمره عمارة وأعمره جعله أهلا ، ومكان عامر: ذو عمارة ، ومكان عمير: عامر ... وأعمرت الأرض: وجدتها عامرة ... وعمرت الخراب أعمره عمارة فهو عامر أي معمور ... وعمل الرجل ماله وبيته يعمره عمارة وعمورا وعمرانا : لزمه "[1]. وفي الموسوعة العربية العالمية " العمارة فن ومهنة تصميم المباني"[2] . فهي تجمع بين العلم والعمل، الفن والممارسة، التخطيط والتصميم، أي تخطيط شكل المبنى ومن ثَمّ تصميمه .

ب- اصطلاحا: جاء في الموسوعة العربية العالمية " العمارة منشأة مؤلفة من كتلة وفراغات، وظيفتها استيعاب نشاط إنساني، كالإسكان والعبادة والعمل والدّفاع، وشرطاها المتانة والراحة "[3]. فالعمارة هي الفن العلمي لإقامة المباني التي تفي بالحاجيات الإنسانية؛ المادية والنفسية والروحية، على أن تتوفر فيها شروط الانتفاع والمتانة والجمال والاقتصاد. والعمارة أيضا: كل ما على الأرض من مبان ومنشآت ومساكن تقليدية كانت أم حديثة [4].

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب** ، دار المعارف ، مصر ، مج 4 ، ص 3101 .

[2] هيئة الموسوعة ، **الموسوعة العربية العالمية** ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض، السعودية، ط2، 1999، ج13، ص 556 .

[3] .المرجع نفسه ، ص 556 .

[4] حسين الأسود ، **دراسة تاريخية للعمارة بوادي سوف ، مسجد سيدي المسعود بالوادي وقمار نموذجان** ، الملتقى الوطني الثامن حول التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، مطبعة الرمال ، الوادي ، الجزائر، ط1، 2016 ، ص 58 .

2- تعريف العمران :

اعتبر ابن خلدون العمران صناعة بقوله: "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتّخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن ، وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لابد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها " [1] .

وعليه فإنّ لفظة العمران تشير إلى أية جماعة بشرية تقيم معا في مسكن واحد أو في مجموعة من المساكن المتجمعة ،وتتميز هذه الجماعة بتعاونها إلى أدنى حد في بعض الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية إلى جانب وجود عدد من المظاهر المتنوعة كالمساكن والأقبية والمخازن والطرق التي تنشأ وتصان بطريقة جماعية [2].

كما تشير كلمة (Settlement) في اللغة الانجليزية إلى الاستقرار في مراكز أو أقاليم تتوفر فيها الخدمات بصرف النظر عن حجم المركز العمراني سواء أكان قرية أو مدينة ضخمة السكان [3] .

من خلال التعريفين السابقين نجد ارتباطا وثيقا بين المفهومين؛ إذ يمثل الأول العمارة: الفن والعلم والتخطيط. أما الثاني العمران فهو البناء والمباني المجسدة على أرض الواقع.

3- التراث العمراني :

لا يمكن اعتبار كل المباني أثرية تاريخية، ولكن هناك شروط ومعايير لابد من توفرها حتى يصنّف العمران كتراث معترف به. وعليه يمكن تعريف التراث العمراني بأنّه "كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومباني وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو

[1] ابن خلدون ، **المقدمة** ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2010، ص 509، 510 .

[2] السيد خالد المطري ، **جغرافية الاستيطان الريفي**، الدار السعودية للنشر، السعودية ، ط2 ، 1999 ، ص 13 .

[3] محمد خميس الزوكه، **في جغرافية العمران** ، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية ، 2003 ، ص 89 ، 90 .

اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية ، ويتم تحديد هذا التراث تحت ثلاث مستويات هي: المباني التراثية، مناطق التراث العمراني، مواقع التراث العمراني"[1]. ويمكن تحديد التراث العمراني وفق عدّة معايير .

أ- معايير العمران :

تتحدّد قيمة أيّ معلم أثري مهما كان نوعه وطبيعته بإجماع الدّراسات المتخصّصة في هذا المجال وفق أربعة معايير أساسيّة هي :

أ-1- معيار القيمة الجماليّة : مقدار ما يتوفّر في أي معلم أثري من قيمة جماليّة تتّحد قيمته ودرجة العناية به والمحافظة عليه .

أ-2- معيار القيمة التاريخيّة : مقدار ما يمثله هذا المعلم من أهمّية تعبيريّة عن نشاط إنساني معين أو عن مرحلة تاريخية معينة بوصفه نموذج دال عن تجسيد صرة صادقة من ماضي منطقة ما .

أ-3- معيار القيمة العلمية : مقدار ما يمكن أن يقدمه هذا المعلم من معارف نادرة أو دالة على تطورات تقنية أو فنية تفيد الباحثين .

أ-4- معيار القيمة الاجتماعية : مجموع الخصائص التي تضفي على المعلم الأثري أهمية اجتماعية معينة كالأهمية الدينية أو الوطنية [2].

---

[1] Choay Françoise, **L'Alégorie du patrimoine**, Paris, 3° édition,1992, p 275.

[2] جمال زواري أحمد، **المعالم الأثرية في منطقة سوف من خلال كتاب (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف) لإبراهيم العوامر**، الملتقى الوطني الثامن حول التراث الثقافي، مرجع سابق ، ص 214 .

ب- أهمية المعرفة بالتراث العمراني :

تكمن أهميّة معرفة التراث العمراني في أمرين؛ معرفة التاريخ، والمحافظة على معالم الماضي حتى يراها أبناء المستقبل. فأما الأول فالعمران يقودنا إلى المعرفة بتاريخ المدينة التي وجد فيها ومعرفة إرجاع كل أثر إلى العهد أو التاريخ الذي بُني فيه.

أما الثاني لمعرفة الخصائص والعناصر التي ميزت الأبنية في كل فترة، وذلك حتى نستطيع القيام بعمليات الصيانة والترميم والمحافظة على الآثار التي لدينا، ولمعرفة العناصر المستعملة في تلك الآثار ، ومعرفة كيفية التعامل مع المبنى من حيث المواد المستخدمة أو الطرق الهندسية سواء المعمارية أو الإنشائية أو الفنية في حالة القيام بالترميم [1].

4- العمران والتاريخ :

إنّ العمران يمثل وثيقة للتأريخ تؤرخ لحقب زمنية مختلفة ، بل هو أكثر من ذلك إذ اعتبره المفكر الغربي (جون راسكن)[2] الذاكرة الحيّة حين قال : " لا نستطيع أن نتذكر بدون عمارة " [3]. فهناك فرق شاسع بين أن نقرأ التاريخ وبين أن نشاهد التاريخ حيا ملموسا أمام ناظرنا، ناطقا بحجارته ومبانيه ، راويا من أفضل الرواة ، حاكيا قصة حضارة طواها الزّمن ولكنها لم تزل باقية بعمرانها وعمارتها .

[1] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، مرجع سابق ، ص 10 .

[2] جون راسكن : ولد سنة 1819 وهو شاعر وناقد فني ومفكر اجتماعي أنجليزي ، له العديد من الأعمال الأدبية والفنية والمؤلفات كان لها أثرها الواضح في العصر الفيكتوري ، توفي 1900. ينظر : بن علي محمد الصالح ، جمالية العمارة التقليدية في وادي سوف ص 48 .

[3] بن علي محمد الصالح ، **جمالية العمارة التقليدية في وادي سوف ، حي الأعشاش نموذجا (1400، 2011) دراسة تاريخية وصفية**، مطبعة مزوار ، الوادي ، ط1 ، 2013 ، ج1 ، ص 48 .

والمعالم الأثرية تحتل المرتبة الأولى بين مصادر تاريخ أي منطقة ، حيث تشكل الصورة المادية الملموسة التي خلفها لها مجتمع تلك المنطقة ، أو من كانوا على تماس به أو علاقة معه فيما مضى من الأيام [1].

إذاً فالعمران من أقوى مصادر التاريخ، وأصدقها نقلا للحقائق من خلال الشواهد العينية التي تركها الأجداد والأسلاف من صروح وعمائر تتكلم عنهم ، حيث تحيلنا إلى ما صنعوا من أحداث وآثار تاريخية . وفي ذلك يقول عبد الرحمن الناصر [2] :

هـم الملوك إذا أرادوا ذكـــرها مـن بعدهم فبألسن البنيـــــان

أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم مَلِك محاه حوادث الأزمـــــان

إن البناء إذا تعاظـــم شأنـــه أضحى يدل على عظيم الشان[3]

وعليه فالأبنية القديمة من العصور الماضية هي بمثابة سجل لمجتمع ما، والقيمة العامة لهذه الأبنية تزداد بزيادة قدم المبنى، ومدى تعبير المبنى عن عصره وأصالة مواد المبنى وما طرأ علىها من تغيرات. ولا تتأثر هذه القيمة بحالة الأثر فقد يكون المبنى كاملا أو بقايا حجرية يتم الحصول علىها من عمليات الحفر والتنقيب، وقد تكون هذه البقايا الحجرية ذات قيمة تاريخية لا تعوض [4].

---

[1] جمال زواري أحمد، **المعالم الأثرية في منطقة سوف** ، مرجع سابق ، ص 219 .

[2] عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، الملقب بالناصر لدين الله ، ويسمى كذلك عبد الرحمن الثالث ، ولد في الأندلس سنة 278 هـ ، تولى إمارة الأندلس وعمره 22 سنة ، تمكن من توحيد الأندلس بعد التمزق وإعادة القوة والهيبة لها ، استمر حكمه 50سنة ، توفي 350 هـ .

[3] أحمد بن محمد المقري التلمساني ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، د.ط، 1988،ج1، ص575.

[4] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، مرجع سابق ، ص 10 .

وفي الأخير يمكن القول إنّ الزاوية التجانية معلم عمراني تاريخي أثري توفرت فيه كل المعايير؛ الجمالية والعلمية والتاريخية والاجتماعية. ولهذا فقد صنّفت كتراث معماري ومعلم تاريخي وطني سنة 1982 وفق المرسوم: 1982/02/01.

وقد حافظ شيوخ الزاوية التجانية على هذا المعلم إلى اليوم كما هو، مع وجود بعض الترميمات التي شهدها بسبب طول الزمن وقدم المباني .

وقد تم الحفاظ على هذا المعلم التاريخي والموقع الأثري دون تغيير يشوّهه أو يطمس هويّته التّاريخيّة ، للإبقاء عليه كشاهد تاريخي حيّ على ما صنعه شيوخ الزاوية التجانية وأبناؤهم ، ولتركه كسجل أمين للعمران والعمارة التجانية عبر آلاف السّنين (منذ القرن الثامن عشر إلى اليوم) الذي صاغته أيادي بشرية في بيئة صحراوية .

المبحث الثاني: أهم معالم الزاوية

كانت الزّاويّة التّجانيّة بقمار إلى جانب دورها الديني والاجتماعي تمثّل تجمّعا حضريا حيث مفهوم البناء المعلمي يتجلّى بصفة الكمال من خلال المنشآت ذات النّسب المكتملة ، وفي ذلك يقول فيليب باتوري[1] : " إلى الشّرق انتصبت في آخر القرن الثامن عشر (1789) زاوية التجانيين والتي تشكّل التّجمّع المعلمي الأكثر إتقانا للعمران الحضري بسوف "[2] أنظر : (الملحق رقم 08) .

فهي ليست مجرد مساجد صغيرة تتصل بها أضرحة أولياء الله الصالحين، أو أنها مكان لتدريس القرآن الكريم وأداء بعض الأوراد والأذكار والمدائح، ولكنها أوسع من ذلك بكثير، حيث تأخذ أبعادا وأشكالا وأحجاما مختلفة، وتخضع في تخطيطها إلى قواعد المدينة الإسلامية في عمومها، والقصور الصحراوية في خصوصها، والتي يراعى فيها مختلف العوامل الطبيعية والثقافية للمنطقة، حيث يكون المسجد والساحة العامة والضريح محور الزاوية التي تحيط بها المساكن من كل جهاتها .

إضافة إلى ذلك تأخذ الزاوية الشكل المستطيل المتعدد الأضلاع بدل الشكل المربع أو الشبه دائري، إذ أن طولها من الشمال إلى الجنوب يساوي ضعف طولها تقريبا من الشرق إلى الغرب، وذلك لاستقبال الرياح الشمالية الشرقية المخفضة للحرارة . وهذا الصنف من التخطيط حسب الدكتور علي حملاوي ميزة تكاد تتجلى في معظم القصور والمدن الإسلامية الواقعة

[1] فيليب بانوري هو أحد المهندسين المعماريين الفرنسيين ، زار الزاوية التجانية بقمار سنة 1982 .

[2] فيليب بانوري ، **نظرة غربية للزاوية التجانية بقمار** ، ينظر : محمد النذير التجاني ، **الزاوية التجانية بقمار** ، ص 11 .

بالمناطق الحارة حيث يفضّل اتجاهها نحو الشمال أو الشمال الشرقي حتى تتمكن من استقبال الرياح الشمالية الشرقية المخفضة للحرارة .[1]

وعليه فإن الزاوية التجانية معلم تاريخي أثري متميز، سواء بتصميمها أو في شكلها واتجاهها أو طريقة بنائها وزخرفتها . وهذا ما سنوضحه في هذا الفصل .

يعتبر التراث المعماري على اختلاف أنواعه وأشكاله مبعث فخر واعتزاز للأمم، ودليلا حيّا على عراقتها وأصالتها، وشاهدا قائما على امتدادها في أعماق التّاريخ، وتعبيرا على انتمائها وهويّتها الحضاريّة، وهمزة وصل بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها [2] . والزاوية التجانية بقمار تزخر بتراث معماري غني ومتنوّع ، حيث يحتوي الجانب المادّي منه على أشكال متعدّدة من المعالم الأثريّة المهمّة ، منها : مسجد سيدي أحمد عمار ، حوش أسيادنا ، القصر الهرمي ، الحوش الشرقي ، مسجد سيدي حمه عروسي ، الضريح .

وقبل الحديث عن معالم الزاوية سنذكر مداخلها وأبوابها ؛ إذ نجد في زاوية قمار ثلاث مداخل رئيسية، لعل أهمها المدخل الجنوبي الشرقي الذي يمتاز بالضخامة والمتانة، ارتفاعه 5م وعرضه 2,80 م، به بوابة من النحاس الأحمر ذات مصراعين، ارتفاع الواحد منها4 م . أما الباب الثاني وهو أصغر حجمًا من الأول ويفتح على الساحة العامة مباشرة في الجهة الشمالية الشرقية . والباب الثالث في الزاوية هو الباب الغربي، ويسمى باب الضريح، يفتح على الأحياء السكنية في الجهة الغربية من الزاوية، وهو على مستوى جدار الضريح ، يؤدي عبر رواق مغطى بأقبية متقاطعة إلى الساحة العامة [3] .

---

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري دراسة تاريخية آثارية زاويتي تماسين بواد ريغ وقمار بواد سوف نموذجا** ، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور : عبد العزيز لعرج ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2012/2011 ، ص 98 .

[2] جمال زواري أحمد ، **المعالم الأثرية في منطقة سوف** ، مرجع سابق ، ص 209 .

[3] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 100 .

1- مسجد سيدي أحمد عمار :

1-1 - تأسيسه :

إن مسجد الشيخ أحمد عمار تم بناؤه سنة 1260 هـ، 1844 م من طرف الخليفة الشيخ محمد العيد الأول ، وهو مسجد صغير يأخذ موقعه بالجهة الغربية من الزاوية، مقابل للساحة العامة وملاصقا للضريح، يتم الوصول إليه عبر مدخل رئيسي في الجهة الجنوبية من الساحة العامة، عبر ممر ضيق هو أشبه بالرواق ذو درجات عريضة، كما يمكن الدخول إليه عن طريق مدخل ثانوي في الجهة الشمالية من ساحة المقبرة عبر رواق الجنائز، في حين التحمت به المساكن من الجهتين الباقيتين، وقد تعرض المسجد في وقت لاحق إلى إضافات وترميمات، مست خصوصا الأعمدة في بيت الصلاة وكذا بعض الزخارف الجصية فوق المحراب أو في رقبة القبة، ومع ذلك فقد بقي محافظا على طابعه الأصلي [1]

ينظر : (الملحق رقم 09).

1-2- مكوناته : يتكون المسجد من :

أ- **بيت الصلاة :** ذات شكل مربع تقريبا 18 م x 17.5 م وأهم ما فيها :ينظر :(الملحق رقم 10)

أ-**1- جدار القبلة :** يبلغ طوله نحو 18 م يحتوي على فتحات منها باب في الجانب الأيسر بالإضافة إلى كوة المحراب التي تتوسط الجدار بعمق 1م يعلوها عقد متجاوز تأطّره زخارف هندسية على جانبيه ، وأربع كوات أو نوافذ صماء ، كما تعلو عقد المحراب نافذتان صغيرتان مما تجدر الإشارة إليه أن كوة المحراب لا تتوسط جدار القبلة تماما بل نجدها تتعامد مع

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 107.

الصف الثاني من الأعمدة ولا تتعامد مع البلاطة الوسطى ما يعطى الانطباع بأن الجامع قد عرف توسعة في جهته الشمالية أي بزيادة بلاطة [1] ينظر : (الملحق رقم 11).

أ-2- **السقف:** سُقف الجامع بقباب بسيطة الشكل قليلة الارتفاع تتقدمها قبة المحراب الملاصقة لجدار القبلة والتي يتجاوز قطرها 6م ، قد روعي في إنجازها الانتقال من قاعة مربعة الشكل إلى المثمن إلى الدائرة .

أ-3- **قبة المحراب** : تميزت القبة بزخارفها الجصية الرائعة متمثلة في أشكال هندسية أهمها: دوائر متداخلة تغطي حنايا المربع وعقود صماء ذات زخارف مفصصة ومربعات صغيرة ، بينما قلنسوة القبة فقد زخرفت بألوان مائية في شكل فصوص ذات ألوان مختلفة غلب عليها اللون الأزرق إلا أن معالمها أخذت تندثر بفعل الرطوبة[2] ينظر: (الملحق رقم 12)

أ-4- **العقود والأعمدة** : رُفع سقف الجامع بواسطة بوائك متقاطعة مشكلة من عقود حدودية متجاوزة الشكل حملت على 15 عمودا اسطوانيا باستثناء 5 منها ، وهي التي تحمل قبة المحراب قد جعلت مضلعة الشكل والمسافة التي تفصل بينها تتراوح مابين 2.7 م و 3 م .[3]

أ-5- **الأبواب والنوافذ** :

يشتمل المسجد على سبعة أبواب ، اثنان رئيسيان يستعملان إلى حد اليوم ، أما بقية الأبواب فأغلبها صغيرة ومستحدثة منها واحد في جدار القبلة من الجهة اليسرى والأخرى في المؤخرة. أما النوافذ فعددها أربعة ؛ في الجدار الشمالي نافذتان كبيرتان أطوالهما 1م x 1.5 م. وفي

---

[1] عبد العزيز حسونة، **النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 16 م إلى القرن 19م دراسة أثرية ومعمارية** ، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية ، إشراف : الدكتور حملاوي علي والدكتورة طيان شريفة ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 02 ، 2010/2009، ص 99

[2] المرجع نفسه، ص 99 .

[3] المرجع نفسه ، ص 100 .

الحائط الجنوبي نافذتان صغيرتان مرتفعتان أطوالهما 0.5م x 0.7م ، كما توجد ثلاث نوافذ صغيرة جدا في جدار القبلة .

وما يثير الانتباه في هذا الجامع هو عدد الأبواب الذي فاق عدد النوافذ، ويمكن تفسير ذلك بكون الجامع محاط بالبنيان من جهتيه الجنوبية والغربية وقد يبرر ذلك تعدد المداخل حيث نجد كل منها يفتح على منزل من منازل أهل الزاوية . ويبقى أهم هذه الأبواب ذلك الذي في الجدار الجنوبي والذي يفتح على الرواق المحاذي لضريح الشيخ أحمد عمار ، حيث يفضل الأحباب الدخول منه [1].

ب- المصلى الصيفي :

أنشئ فوق سطح المسجد مصلى تتقدمه غرفتان جانبيتان تتوسطهما قبة المسجد ،ولا نكاد نميز بجدار القبلة أية إشارات أو معالم تدل عليه ماعدا عقد صماء جعلت في وسطه لتحدد موضع الإمام ، أما الزخارف فوجدت على الجدار الخلفي تمثلت في عقود مفصصة صماء[2] ، ينظر : (الملحق رقم 13) .

ج- الضّريح :

يأخذ ضريح الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار موقعه وسط المباني الدينية، يحده من الجهة الشمالية مسجد الزاوية، ومن الجهتين الجنوبية والغربية رواقين فاصلين، أما من الجهة الشرقية فهو يلتحم مع الأحياء السكنية، وهو ذو تصميم بسيط مربع الشكل ومغطى بقبة مضلعة، فلا نكاد نميزه عن بقية المنازل القديمة المجاورة له، وتتخذ مداخله شكلا هندسيا مقوسا متشابها،

[1] المرجع السابق ، ص 100 .

[2] المرجع نفسه ، ص 100.

كما أن تواجده في عمق الزاوية يزيد من صعوبة العثور عليه ما لم يتم طلب الإرشاد[1] ، ينظر: (الملحق رقم 14) .

2- القصر الهرمي :

2-1- تأسيسه : القصر الهرمي هو سطح سيدي حمة العروسي، تم إنشاؤه من طرف الشيخ محمد العروسي في الفترة ما بين 1893. 1920 ، ويستغل كمسكن وظيفي ،ينظر: (الملحق رقم 15).

2-2- مكوناته : هو مبنى يتواجد في الوسط وله عدة واجهات ، ويمكن رؤيته من بعيد لتواجده على حافة الطريق مع بروز قبته الهرمية . وهو يتكوّن من طابقين؛ مستوى أرضي وطابق أول ، إلى جانب مدخل رئيسي في الجهة الشرقية ، وساحة تمهيدية قبل الوصول إليه .

أ- **الطابق الأرضي :** يتكون الطابق الأرضي من جزأين: جزء كله غرف، وجزء مفتوح يمثل الممر المغطى بالعقود المتقاطعة.

ب - الطابق الأول : يتكون من قاعة كبرى مغطاة بقبة هرمية خاصة للاستقبال ، وعدة غرف لإقامة الضيوف . وهو موصول بواسطة سلمين؛ الأول في مدخل رئيسي تحت القاعة الهرمية، والثاني في نهاية الرواق يؤدي إلى سطح صغير جنوب المبنى. كما أنه مرفوع فوق أعمدة ليوفر مجالا مغطى يربط بين ساحتين في الشمال والجنوب [2].

ب-1- القاعة الكبيرة (الهرمية) : هي قاعة كبرى تبدو مربعة الشكل تقريبا طول أضلاعها (6، 6،5 م) . سقفها على شكل هرمي يشبه أسقف المساجد والمدارس في مدينة تلمسان . تحتوي على مجموعة من النوافذ وعددها خمسة؛ واحدة تفتح على صحن المجمع، والباقي تفتح

[1] عبد العزيز حسونة، **النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف** ، مرجع سابق ، ص 111 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 127 .

على البهو الجانبي . وزيّن سقفها وجدرانها بزخارف جصية وملونة لم تعد واضحة المعالم بسبب الرطوبة الخارجية ، ينظر : (الملحق رقم 16).

ب-2- الغرف : توجد على جانبي الرواق الموجود في الجزء الثاني من الطابق الأول للقصر ، وعددها ست غرف ؛ ثلاثة في كل جانب . وقد غطّي سقف القصر بالعقود على طول الغرف والرواق، وهي مكسية بطبقة من الجبس المنقوش . وهذه الغرف بهذا العدد توحي كأنها جعلت للإقامة الفردية ، وكأنّ القصر مدرسة داخلية لتعليم القرآن الكريم .

3- مسجد حمه العروسي :

3-1- تأسيسه : يقع في الجهة الشرقية للزاوية الأصلية، أنشأه الشيخ حمه العروسي وسمي المسجد نسبة له ، وهو يمثل الإنجاز الثاني بعد قصر القبة الهرمية في مرحلة التوسع الثالثة . وهو يقع في وسط نسيج عمراني، ويمكن تمييزه عن محيطه بالقبة النصف كروية ، ينظر : (الملحق رقم 17).

3-2- مكوناته : وهو يتميز بفناء في مدخله ، وله قاعة صلاة تحتوي على قبة بالإضافة إلى أعمدة دائرية ، كما يوجد بالمسجد بعض الأضرحة.

أ- فناء المسجد:

بعد المرور بالساحة التمهيدية والدخول إلى المسجد نجد الفناء الذي له شكل مستطيل أبعاده(18.2*13)تقدر مساحته بـ 237.5متر مربع، وكان الفناء قديما يستغل في فصل الصيف للتعبد بحكم ارتفاع المجالات، له زخارف على مستوى الواجهات الداخلية وفتحات المجالات مطلة للفناء [1].

[1] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، مرجع سابق ، ص 46 .

ب- قاعة الصلاة: القاعة مستطيلة الشكل (12.36*11) مساحتها 135.96متر مربع، لها نوعين من الأعمدة (دائرية ومستطيلة)، تحتوي على قبة كبيرة في المنتصف نجد على القبة الزخارف، وكذلك على مستوى الأقواس يحتوي على قباب صغيرة وعقود نصف أسطوانية، وللقاعة محراب مقابل المدخل مباشرة يحتوي المحراب على الزخرفة وبجانبيه مكان لوضع الكتب، كما للقاعة عناصر الزينة والكتابات بخط النسخي مع وجود دعامات على مستوى الجهة الجنوبية [1].

ج- الأضرحة: توجد على يسار مدخل قاعة الصلاة، يعلو المدخل عنصر الزينة وزخرفة القاعة، مستطيلة الشكل (6.36*11) مساحتها 70متر مربع، لها نوع من الأعمدة (دائرية) ، كما تحتوي على قبب صغيرة وكذلك على الأقواس الخالية تماما من الزخرفة.

4- حوش أسيادنا أو دار السادة:

4-1- تأسيسه : أشرف على إنجازه الشيخ محمد العيد نجل الخليفة محمد الصغير سنة 1990م ، وهو على غرار العمائر الإسلامية الكبرى، يقع في الجهة الغربية من الزاوية إلى جانب (الدار الخضراء) و(الحوش الشرقي) لتشكل مع بعض مجمعا سكنيا لعائلات وأهالي الزاوية ، ينظر : (الملحق رقم 18) .

4-2- مكوناته: تتكون دار السادة من ثلاث أقسام متلاصقة ؛ بهو الاستقبال في الجهة الغربية وحوش الخدم في الوسط والحوش الرئيسي في الجهة الشرقية .

[1] المرجع السابق ، ص 47 .

أ- الحوش الرئيسي (الحوش الشرقي) :

يمكن الولوج إليه من الشارع الرئيسي عبر باب ثانوي عرضه 1.85م ، يفضي مباشرة عبر درج إلى الصحن . وهذا الأخير يتميز باتساع يتراوح طوله بين 17.90م من الشرق إلى الغرب، و17.70م من الشمال إلى الجنوب. وتحيط به أروقة من جهاته الأربع، تحمل كل منها بائكة مشكلة من خمسة عقود منكسرة ومتجاورة أكبرها الوسطى، ترتكز العقود على أربع دعامات مضلعة الشكل، واثنتان ركنيتان بشكل زاوية قائمة، يفصل بين الدعامة والأخرى مسافة تقدر ب1.90م ماعدا تلك التي تحمل العقد الأوسط فتقدر مسافتها ب 2.20م [1] ، ينظر : (الملحق رقم 19).

يتقدم الرواق مجموعة من الغرف ذات مقاسات وأشكال مختلفة، تتميز الغرفتان الواقعتان في الجهتين الشمالية والجنوبية بكبرهما يقدر طول كل منهما 8.20م عرضها حوالي 6م تفتحان على الصحن بواسطة باب مكون من دفتين بعرض 1.30م وارتفاع 2.50م نجد على جانبيهما نافذتان عرض كل واحدة1.2م ارتفاعها 1.9م. احتوت كل غرفة على مقصورتين مربعتي الشكل يقدر طول ضلعها 3 م، جعلت مداخلها مقابلة للنافذتين [2].

أما الغرفة الواقعة الجنوبية على الجهة الغربية يقدر طولها ب 8م وعمقها ب 4.50م، تحتوي مقصورتان بعرض 2.50م،تفتح بها نافذتان عرضهما 1.20م وارتفاعهما 1.30م، أما الغرفة الواقعة في الجهة الشرقية طولها 5.50م وعمقها 2م.

تكتنف الغرفة الجنوبية غرفتان جانبيتان، الغرفة الشرقية منهما مستطيلة الشكل يقدر عرضها بـ 3.50م وعمقها بـ 6م، أما الغرفة الغربية فهي مربعة تقريبا ويقدر طولها بـ5.50 م وعمقها

[1] عبد العزيز حسونة ، **عمارة مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 99 .

[2] المرجع نفسه ، ص 100 .

6م وتتوسط هذه الأخيرة دعامة مربعة طول ضلعها 0.50م، تشتمل الغرفة على خابيتين كبيرتين كانتا تستغلان لتخزين التمر ويحد الغرفة في جانبها الغربي مخزن كبير مقسم إلى جزأين مخصص لتخزين الحبوب.

وتكتنف الغرفة الشمالية غرفتان مربعتان الشكل تقريبا طول ضلعيهما 3.20م*3م، توجد في الركن الشمالي الشرقي دورة المياه مشكلة من مرحاض وميضة [1].

يوجد في الجهة الغربية بالقرب من دار الخزين ممر يؤدي إلى فناء أقل اتساعا مربع الشكل تقريبا أطواله 11م ×13م، يكتنفه على الجهتين الغربية والشرقية رواقان تحتوي بائكة كل منهما على أربعة عقود منكسرة محمولة على دعامات مربعة الشكل طول ضلعها 0.50م . وتفتح على الفناء ثلاث غرف متفاوتة الأحجام أكبرها الموجودة في الجهة الشمالية مربعة تقريبا أطوالها 6م×4.50م، ويوجد في الركن الجنوبي الغربي من الفناء مدخل يؤدي إلى درج دائري يؤدي إلى سطح الدار [2].

ب- بهو الاستقبال:

يمكن الوصول إلى بهو الاستقبال عبر فناء أوسط، وهو عبارة عن قاعة فسيحة مستطيلة الشكل يقدر امتدادها من الغرب إلى الشرق بـ 8م×4م ، جعل له نافذة كبيرة في الجهة الشرقية يصل عرضها 1.5م و ارتفاعها 2.5م، ويوجد في الجهة الغربية مدخل يفضي إلى قاعة أخرى تتقدم البهو والتي بدورها تفتح على ساحة الزاوية الرئيسية بواسطة بوابة ضخمة . تتصل بالبهو على جوانبه قاعات أخرى أقل اتساعا .

[1] المرجع السابق ، ص 100 .

[2] عبد العزيز حسونة ، **عمارة مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 101 .

كانت دار السادة تستقبل كبار الضيوف من مشايخ الطريقة الوافدين من تماسين أو من عين ماضي ويظهر ذلك من خلال فخامة الغرفتين الرئيسيتين وكذلك الدار الملحقة المخصصة للخدم، وأيضا من البهو المستطيل والذي كان بمثابة قاعة تشريفات أو تكريم[1] .

وخلاصة القول

إن الزّاويّة التجانية بقمار تتشكل من تجمّع معماري يحتوي على كتلتين متناسقتين: إحداهما متكوّنة من : مسجد، مساحة للصّلاة الخارجيّة مصلى، قصر، ضريح، مقابر عائلية، مدرسة ومقرّات للاستقبال. والثانية حيّ وسطي متمثّل في كتلة من الدّيار الملتفّة حول مسجد سيدي أحمد عمّار . ويتمّ الربط بينهما عبر الممرّ المغطّى بالقبب المسطّحة والذي يمتدّ إلى ممرّات أخرى مغطاة ثمّ إلى ممرّ مكشوف تحفة جماليّة حتّى ينفتح على فضاء مركزيّ ديني.
وهذا التّرتيب المحكم لهته الساحات السبعة المتتالية دون اعتبار الفناءين المتبقيين لمسجديْ سيدي أحمد عمّار وسيدي محمّد العروسي، إلى جانب ترتيب الواجهات، التموقع، تتابع الأبواب والعناصر التّشكيليّة مثل: القبب، والأقبيّة، والأقواس، والقبّة الهرميّة الرّائعة، تثير الدهشة من جانب الهندسة المعمارية وكأنّ من أشرف عليها مهندس معماري محنك ، وخبير مدقق ، وفنان متذوّق .

وهذا ما جعلها تتفوق على باقي الزوايا وتتميز عنها بانتمائها إلى صنف العمائر المدنية . فشيوخ الزاوية التجانية أسسوا مدينة عمرانية بأتم معنى الكلمة ضمّت مجمع سكني واجتماعي يلبي كل حاجيات المجتمع ، إلى جانب المساجد . ولهذا لا نحيد عن الصواب إن قلنا أن الزاوية التجانية تعتبر مدينة ثانية موازية لمدينة قمار، بل تفوقت عنها في قوة البناء وجمالية العمران التي لا تزال ظاهرة إلى اليوم . زد على ذلك استقطابها للسكان المجاورين لها والبعيدين عنها جعلها تنافس قمار ريادة منطقة وادي سوف أيضا .

[1] المرجع السابق ، ص ص 101 ، 102 .

المبحث الثالث : مواد البناء وتقنياته

1- مواد البناء :

1-1- الحجارة: تعتبر الحجارة من أكثر المواد المستخدمة في بناء الزاوية وهي على ثلاث أنواع :

أ- وردة الرمال (حجارة اللوس): هي عبارة عن حجارة رملية بلورية صلبة نوعا ما، تجمعت في شكلٍ هندسي غير منتظم ذات رؤوس مدببة أو محدبة بلون أصفر فاتح، وتتميز بقوة التحمل خاصة بعد خلطها بمادة الجبس، وهي أقل تأثرا بالرطوبة من الحجارة الكلسية ، وهذا النوع من الحجارة استعمل في كامل أجزاء المباني، انطلاقا من أسس الجدران إلى قمتها، كما استعمل في بناء الدعامات والعقود والقباب [1]. وهي مادة محلية تستخرج من مقالع مختلفة الأعماق في المنطقة [2] ، ينظر : (الملحق رقم 20).

ب- الطرشة « tarcha» مادة تشبه وردة الرمال تستخرج من مقالع أكثر عمقا من خصائصها أنها أشكال غير منتظمة ملساء و بأحجام مختلفة، هذه المادة القاعدية تستعمل أساسا من أجل بناء الأساسات والجدران، كما تستعمل في التسقيف لتشكل منها العقود والقباب والأقبية [3] ،ينظر : (الملحق رقم 21).

ج- الصلاجة : وهي نوع من الحجارة تشكلت بسب حبيبات الجبس والرمل متجمعة بأحجام و أنواع مختلفة ، تكون بلون فاتح يميل إلى الزرقة ، تتميز بأنها مقاومة للحرارة وعازلة للصوت

[1] غلام الله سعاد، **دراسة خصائص مواد البناء زاوية قمار التجانية واد سوف وتحضير ملاط جصي للترميم** ، رسالة دكتوراه ، إشراف الدكتور : حميان مسعود والأستاذة المساعدة جودي آمنة، معهد الآثار ، جامعة الجزائر2 ، 2010/ 2011 ، ص 56 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 166 .

[3] غلام الله سعاد ، **دراسة خصائص مواد البناء زاوية قمار** ، مرجع سابق ، ص 56 .

وقد تكون أشد صلابة من اللوس إذا لم تتعرض للرطوبة وهي عادة تستخرج من مستويات عميقة تصل إلى ثلاثة أمتار . وشاع استخدام الصلاجة في البناء بكثرة في عهد متأخر نظرا لانتظام شكلها عكس اللوس ، وبسب سهولة تأثرها بالرطوبة توضع عادة وسط الجدار في مستوى مرتفع عن الأساسات [1] .

1-2- الجبس: « gypse »

هو مادة صلبة مكونة من ثنائي هيدرات كبريتات الكالسيوم، والصيغة الكيميائية للجبس (ca so4 2h2o) من الخامات المتوفرة بكثرة في الأرض، وهو أكثر معدن كبريتي منتشر في الطبيعة بأحد شكليه المعدني أو الصخري الرسوبي، وهو يتداخل مع الدولوميت والطين والحجر الجيري، وهو ذو لون أبيض أو رمادي أو رمادي يميل إلى السواد [2]. وهو نوعان حسب طريقة تكوينه :

أ- **الجبس الطبيعي** : يسمى محليا" بجبس البرانيس يوجد مع الصخر الملحي الهش على شكل أجسام مسطحة أو كتل ليفية بيضاء تتطابق مع الحجر الجيري أو الحجر الرملي أو الطين أو على هيئة رواسب ذات طبقات سميكة واسعة الامتداد بشكل بقع عدسية ذات بلورات أحادية طويلة ذات شكل منشوري يكون ظاهرًا فوق سطح الأرض . وتنتشر محاجر هذا الصخر في العديد من المواضع المتفرقة على أطراف الواحات وعلى ضفاف الوديان، كما يستخدم كثيرا في الجنوب التونسي [3].

[1] حسونة عبد العزيز، **عمارة مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 105 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 167 .

[3] حسونة عبد العزيز، **النسيج العمراني لمدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 125 .

ب- الجبس الاصطناعي : وهو مسحوق كلسي ينتج بحرق حجر التافزة ، يتميز بلونه الأبيض المائل إلى السمرة ما يجعله عاكسا لأشعة الشمس وعازلا للحرارة والصوت، يستعمل في عملية البناء كرابط للحجارة، وكذلك في تلبيس الجدران وعمليات الزخرفة . لكنه شديد التأثر بالرطوبة نظرا لمكوناته الملحية خاصة كبريتات الكالسيوم، لهذا كثيرا ما نلاحظ اليوم أساسات المباني متآكلة بفعل تأثير الرطوبة والتعرية الريحية [1].

وتتم عملية تحضيره بطريقة تقليدية سهلة، حيث تعالج قطع من الحجارة الهشة في أفران تقليدية أعدت خصيصا لحرق هذه الحجارة، تسمى محليا بالحاروق، وتدوم مدة الحرق أحيانا ساعة تحت درجة حرارة مرتفعة ، والغرض من عملية الحرق هو تبخير الماء الموجود بين المسامات، إذ تصبح هشة سهلة السحق بعدها تخلط مع الرمل الصلصالي لتصبح ملاطا، ومن خصائصه أنه سريع الجفاف والتماسك كما يمتاز بالصلابة بعد عملية الحرق، لذا استخدم على نطاق واسع في الزاوية في تكسية أو تلبيس الجدران، وتبليط أرضيات البيوت وفي الربط بين الحجارة والطوب، كما استعمل في عمليات التسقيف وفي بناء القباب، و في عمليات الزخرفة ومن مزاياه أيضا أنه حافظ جيد للبرودة في الصيف والحرارة في الشتاء، مما يضفي على المنازل نوعا من الراحة والانشراح [2] ، ينظر : (الملحق رقم 22).

1-3- الخشب « Le bois »

الخشب المستعمل في البناء عادة بمنطقة واد سوف هوشجرة النخيل وهو عنصر مهيكل يستعمل من أجل الأسقف والشرفات المستوية من أجل إعادة استغلالها. ويعتبر الخشب أحد أهم المواد المستعملة في بناء الزوايا والقصور الصحراوية، لِما تتوفر عليه المنطقة من هذه

[1] المرجع السابق ، ص 125 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق، ص 167 .

المادة، حيث استخدم في بناء العمائر، سواء في تدعيم الجدران أو في التسقيف أو كهيكل لبناء العقود والقباب أو لإنجاز الأبواب والسلالم أو الأوتاد المغروزة في الجدران لتقوم بدور المشاجب [1].

أ- جذوع النخيل:

الجذوع أو سيقان النخيل الكبيرة خاصة والتي قد يصل قطرها إلى 50 سم [2]،ويتم إعداد وتحضير جذوع النخيل انطلاقًا من بدن النخلة، فبعد أن تقطع النخلة الطاعنة في السن تنظف من الشوائب، يتم تقسيمها طوليا إلى أقسام على حسب وظيفتها في المبنى، ثم تترك تحت أشعة الشمس لضمان جفافها وزيادة صلابتها وقوّتها، ومن ثم تصبح صالحة للاستعمال. و الجدير بالملاحظة أن جذوع النخيل اقتصر استعمالها في زاوية قمار على عملية تسقيف الغرف والحجرات والأزقة، بمقاسات تتراوح مابين2 م إلى 3 أمتار طولا، وبعرض 15 سم إلى 25 سم دون استخدامها في صناعة الأبواب[3] ، ينظر: (الملحق رقم 23) .

ب- الجريد:

وهي أغصان النخلة المفصصة وتكون في القسم العلوي من النخل ، تقطع منها مع بداية تشكيل الثمار لتخفيف الثقل عليها ومعالجتها، وتوضع على شكل حزم بعد تنظيفها من الأشواك والسعف و الكرناف بواسطة أداة حادة (منجل) داخل الماء وتترك لمدة زمنية معينة بضعة أيام، ثم تخرج وتترك في الشمس لتجف وتصبح صالحة للاستعمال. وقد استعمل الجريد في التسقيف (السدة) والتدعيم وفي بناء هياكل الأقواس وصناعة الأوتاد المخصصة لبناء الأقبية ،

[1] المرجع السابق ، ص 171 .

[2] حسونة عبد العزيز، **عمارة مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 113

[3] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق، ص 171 .

كما استخدم في حشو الجزء الفاصل بين الطابق الأرضي والطابق العلوي على مستوى السطح لضمان حركة الهواء وتخفيف الضغط على المبنى[1]

ج- الكرناف :

تمثل الكرنافة الجزء العلوي من الجريدة الذي يبقى ملتصق بالجذع بعد أن تقطع الجريدة[2] . وهي تسمية محلية يطلقها أهالي المنطقة على الجزء العريض من جريد النخيل والذي يتصل بجذع النخلة ويلعب دورا هاما في عملية التدعيم في البناءات الصحراوية بصفة عامة، باعتباره خشب صلب، وقد استخدم بين أقسام السقف ليوضع فوقه الليف ثم التبن الممزوج مع الطين لمنع تسرب الماء [3].

د- أوراق اللّيف والحلفاء والعرعار:

يطلق على اللّيف محليا اسم (الفدام) ، وهو عبارة عن شبكة من الألياف تغطي الجزء العلوي من جذع النخلة بين الكرناف ، ويستعمل في غلق المساحات و الفراغات التي يتركها الكرناف الذي يوضع على قطع جذوع النخلة [4]. وهو نبات شبكي ينمو بين جذوع النخيل، يتم نزعه ثم يجفف بدوره ويستعمل بعد ذلك ضمن عملية التسقيف، فهو يمثل دور عازل حراري هام، أما الحلفاء فهي من الأنواع المحلية الوفيرة التي لا تتطلب جهدًا كبيرًا للحصول عليها، استعملت بالخصوص كمادة مقوية لأسقف المباني، وتدعيم السدة وسد الثغرات [5].

---

[1] المرجع السابق ، ص 173 .

[2] حسونة عبد العزيز، **عمارة مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 113 .

[3] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 173

[4] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق، ص 174

[5] المرجع نفسه ، ص 174 .

أما فيما يخص نبات العرعار فإنه ينمو عادة في المناطق الجبلية وفي الأودية، وهو يمتاز بجذوعه الضخمة وأغصانه القوية ودرجة مقاومته وتحمله للثقل، لذلك استخدمه المعماري في الأماكن التي تحتاج إلى سند أو معرضة لضغط قوي، إذ استعمل في صناعة أبواب المداخل والممرات والبيوت وأبواب ونوافذ المقابر[1]

4-1 - آجر ترابي مطهو« brique deterre cuite »

وهو مادة أجنبية على البناء التقليدي للمنطقة ، الآجر الترابي الممتلئ بالطين المطهو وهو مادة نصف مصنعة حيث المادة الأولية تستخرج من مقالع خاصة، أما التحضير فيتم من خلال عرك الطين بالماء ثم تقطيعه بواسطة قوالب إلى أبعاد معروفة ويطهى في أفران تقليدية قبل استعماله. وقد استعمل على ظهر القبة الهرمية فقط [2]، ينظر: (الملحق رقم 24) .

2- تقنيات البناء :

المقصود بتقنيات البناء هي مجموعة الوسائل والطرق المستعملة في ضمان سلامة المبنى واستقرار أجزاءه، وهي كذلك امتلاك القدرة على التشكيل والتعبير الفني والجمالي وفق الإمكانيات المتاحة، حيث حاول الفنان المعماري محاورة جزئياتها وفق ما تمليه عليه الضرورة الملحة في عمليات الإنشاء من جهة، وحسب ما تتطلبه مادة البناء من جهة أخرى .

2-1- الأسس والجدران:

تختلف تقنيات بناء الأسس والجدران في مباني الزاوية من مبنى إلى آخر، ولكن على العموم تكون الأسس غير عميقة، إذ لا تتجاوز 60 سم بالنسبة للأسوار الداخلية (جدران

[1] المرجع السابق ، ص 174 .

[2] غلام الله سعاد ، **دراسة خصائص مواد البناء زاوية قمار** ، مرجع سابق ، ص 58 .

البيوت)، وتكون من الصخور الصلبة القليلة الوجود في الناحية، هذه الأخيرة تلعب دور العازل بالنسبة لطبقة المياه الباطنية القريبة من السطح ، أما بقية أجزاء الجدران فتكون من الحجارة المتوسطة الحجم، يتم فيها البناء فوق الأسس مباشرة باستعمال صفوف الحجارة بوضع الواحدة فوق الأخرى [1].

وعموما يمكن أن نوجز تقنيات بناء الأسس والجدران بالشكل التالي : تسوية الأرضية بعرض الجدران وعلى عمق متوسط = 60سم . ثم تصفيف حجارة الترشة على فرشة من الملاط الجبس بعرض 50إلى 60 سم حسب أهمية المشروع . تتوالى العملية صف من الحجارة ثم طبقة من الملاط إلى ارتفاع متوسط = 60سم .ثم اللوس نثبته بنفس الطريقة إلى أن يبلغ الجدار الارتفاع المطلوب [2].

وما يلاحظ على الجدران الخارجية العالية الارتفاع هو توظيف البنّاء لخبرته في مجال العمارة الصحراوية، حيث عمد إلى جعل سمك الجدار في الأسفل أكبر مما هو عليه في الأعلى، إذ نجد أن عدد صفوف الحجارة في الأسفل كثيرة وحجمها كبير، وكلما ارتفع الجدار يظهر التناقص في عدد وحجم صفوف الحجارة، ويعود ذلك إلى إضفاء نوع من التناسب والتناسق الهندسي الذي يعطي الشكل الهرمي المتراجع، والذي بدوره يعطي اتزانا ومتانة للجدار، أما بالنسبة للجدران الداخلية الفاصلة بين الغرف، فإننا نجدها أقل عمقا وسمكا من الجدران الخارجية، وإن حافظت على نفس تقنية البناء وعلى وحدة التناسب الهندسي والشكل الهرمي للجدار، كما أن سمك الجدار المحيط بالسطح يكون صغيرا، وذلك لوظيفته وهي السترة شأنه

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 172

[2] ناقص مروة ، **إعادة تأهيل القصر الهرمي** ، مرجع سابق ، ص 61

شأن الجدار العازل أو الفاصل في الرواق الغربي ، حيث نجد سمكه يتراوح مابين 15 سم و 25سم وقد بني بالحجارة الصغيرة الحجم[1] .

2-2- الأقواس :

كانت الأقواس عنصرا حاملا في البناء التقليدي القائم على الحجارة المحلية والجبس، فيه تعوض التسليح والكمرات في تحمل التغطية الأقواس ذات الشكل نصف دائري تكون في العادة محمولة على الأعمدة أو مثبتة في الجدران، وتم بناؤها بالتوازي مع الجدران وبنفس المواد. حيث تستعمل قولبة من عصي الجريد المقوسة وتثبت في الأطراف على الجدران أو فوق الأعمدة وتدعم من الأسفل بواسطة قوائم خشبية في الوسط [2]، ينظر: (الملحق رقم 25) .

2-3- المداخل والأبواب :

فيما يخص تقنيات بناء المداخل وتثبيت أبوابها، فإنها اختلفت باختلاف أنواعها وأحجامها، حيث نجد المداخل الرئيسية ذات الأبواب المعدنية الكبيرة المفتوحة السطح كالمدخل الرئيسي، أو المداخل الثانوية ذات الأبواب الخشبية الأقل حجما والمغلقة السطح، إما بطريقة مسطحة أو معقودة، فالمداخل المسطحة بنيت بطريقة بسيطة إلى حد كبير، فنجد أن جوانب المدخل باعتبارها طرفي الجدار، بنيت بنفس تقنية بناء الجدران، وعند بلوغه الارتفاع المطلوب والذي لا يتجاوز في معظم الأحيان 2,90 م مع الجدار الموازي له في نفس المحور، يتم مد جذوع خشبية من 2 إلى 3 جذوع على حسب سمك الجذع بين الفراغ الموجود فيما بين الجدارين،

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 174

[2] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، مرجع سابق ، ص 51

ويبلغ طول الجذوع الخشبية المسندة مابين 1,70 م و 1,90 م، وبالتالي يسطح المدخل ويتم ربط الجذوع فيما بينها [1].

أما المداخل المعقودة فإننا نجدها في غالب الأحيان في مدخل غرفة السلالم المؤدية إلى الطابق الأول، وهي بسيطة ذات عقد ، تمثلت تقنية بناءها في نفس التقنية السالفة الذكر في المداخل المسطحة، إلا أن الجديد في هذا النمط هو أن البناء عمد إلى تدعيم العقد بمجموعة من عيدان الجريد، حيث تصفف وتربط برباط متين، ثم تثبت على طرفي الجدار مباشرة أسفل الجذوع الخشبية، ثم يتم إحكامها بواسطة الميلاط الطيني لتصفف بعدها قوالب الطوب على هذا الهيكل على شكل صفوف بوضع مائل من منبت العقد إلى الطرف الثاني، ويترك الصف الأول يجف لوضع الصف الثاني والثالث إلى غاية استكمال عملية بناء العقد [2] ، ينظر : (الملحق رقم 26).

2-4- العقود :

أ- **العقود المتقاطعة :** تبنى انطلاقا من أربعة أقواس بشكل مربع أو مستطيل حتى تلتقي في الأعلى، تتم القولبة بوضع أربعة قضبان مقوسة من العصي بسمك يقّارب 30 سم وتبنى بحجارة اللوس والجبس ثم يتم حشو الفراغات في الجوانب بالتبن والطين للحصول على سقف مسطح .عموما الأسقف من العقود المتقاطعة هي المفضلة لأجل الحصول على أسطح مستوية قابلة للاستغلال ، مثل القصر الهرمي وسطح المسجد قبل إعادة بنائه على شكل قباب [3].

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 176 .

[2] المرجع نفسه ، ص 174 .

[3] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، مرجع سابق ، ص 52 .

ب- العقود الأسطوانية : هي العقود التي على شكل المهد هو عبارة عن سقف نصف أسطواني مجوف يشكل باستخدام العقود بصفة متكررة و هي ترتكز على جانبين فقط والمسافة المغطاة لا تتجاوز 2.60 م ، هذا النوع من الأسقف غير قابل للاستغلال نظرا لانحناء الظهر الخارج للعقود ، لذلك لا يستعمل هذا النوع من الأسقف إلا في تغطية الطابق العلوي . (مثل القصر الهرمي) عملية الإنجاز تتم فوق قولبة نصف أسطوانية وباستعمال حجارة اللوس والجبس[1] .

2-5- القباب نصف كروية :

تبنى بنفس طريقة بناء العقود إلا أن بطن القبة لا يستعمل فيه قولبة، بل انطلاقا من قاعدة الأقواس يتّم بناء صفوف دائرية إلى أن تنغلق القبة في الوسط . للحفاظ على تساوي نصف قطر الكرة في كامل النقاط يستعمل خيط بطول نصف القطر وتثبت نهايته في مركز دائرة القاعدة و يثّبت طرفه الثاني في إصبع البناء [2].

2-6- الأعمدة والدعامات :

تعتبر الدعامات والأعمدة من أهم العناصر المعمارية الإنشائية بالمباني والمساجد ، وقد كانت في البدايات الأولى لبناء المساجد من جذوع النخل لتحمل السقف المصنوع من جريد النخل . ولما انتقلت صناعة البناء إلى الأحجار عملت الدعامات الحجرية والأعمدة وتختلف الأعمدة عن الدعامات في شكلها الأسطواني كما أنها تتركب من قاعدة وساق وتاج أعلاه .

[1] ناقص مروة ، **إعادة تأهيل القصر الهرمي** ، مرجع سابق ، ص 62 .

[2] شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي** ، مرجع سابق ، ص 52 .

وقد اشتملت بعض الدور في الزاوية التجانية بقمار على دعامات مربعة ومضلعة تحمل بوائك الأروقة بالصحن خاصة دار السادة والحوش الشرقي سابقا [1].

تظهر تقنيات البناء بالحجارة المنظمة والموحدة في بناء الأعمدة والدعامات ، سواء المربعة منها أو المستطيلة أو المتعامدة الأضلاع، حيث نلاحظ أنها حافظت على وحدة التقنية في البناء كغيرها من العناصر المعمارية الأخرى، فنجد أن صفوف الحجارة مبنية بنفس الوضعية التي لاحظناها في كل من الجدران والأسوار، وجل هذه الدعامات تخلو من القواعد والتيجان، إذ تتصل مباشرة بالأرض وتستقبل مباشرة الأقواس، كما تتعدم بها الزخارف، وتكون هذه الدعامات في بعض الأحيان عريضة في أسفلها تدعيما للأساس، كما يمكن أن تكون أكثر عرضا في أعلاها، إذا كانت حاملة لعوارض النخيل حتى يكون التوازن في الثقل[2] .

2-7- الأسقف والسلالم:

يعتبر التسقيف عنصرا ضروريا لتغطية الغرف والوحدات السكنية ، لذلك تختلف طرق التسقيف تبعا لطبيعة المواد المستعملة في هذه العملية وتبعا للظروف المناخية السائدة في المنطقة، فنجد في الزاوية عدم استخدام السقوف المسطحة إلا عند اقتضاء الضرورة، وذلك حفاظا على مادة البناء الأساسية المتمثلة في الثروة النخليّة، ومراعاة لطبيعة المناخ الصحراوي، ومن هنا تظهر المساحات المغطاة بالسقوف المسطحة قليلة جدا، خاصة في العمائر الدينية كالمساجد والأضرحة، وفي الفضاء المخصص لتلاوة القرآن ومجالس الوعظ والإرشاد[3] .

[1] حسونة عبد العزيز، **عمارة مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 121 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 178

[3] المرجع نفسه ، ص 175

ومن وسائل التسقيف المستعملة في زاوية قمار القبة والتي هي نوع من الأقبية التي تستخدم للتسقيف وهي بأبسط أشكالها عبارة عن نصف كرة مجوفة تقف على أعمدة أو جدران ، كما يمكن اعتبارها قوس متكرر وملتف حول وسطه ، فللقبة قدرة كبيرة على تحمل الأحمال الإنشائية ونادرا ما تكون القبة كروية تماما [1] .

[1] حسونة عبد العزيز ، **عمارة مدينة قمار** ، مرجع سابق ، ص 114

الفصل الثالث

العناصر الفنية للزخرفة

- المبحث الأول : مواد الزخرفة
- المبحث الثاني : تقنيات الزخرفة
- المبحث الثالث : العناصر الفنية للزخرفة

الفصل الثالث : العناصر الفنية الزخرفية :

المبحث الأول- مواد الزخرفة :

1- الجص :

إنّ مادّة الجص أو الجبس كانت تستعمل للبناء والزخرفة في نفس الوقت؛ أمّا الأولى كمادة لاحمة أو لتغطية الجدران والأقبية والأقواس. وأمّا الثانية كمادة أولية رئيسية في الزخرفة . وذلك لتوفّره بكثرة في المنطقة ، إضافة إلى ما يتمتّع به من بياض ناصع وسهولة التّشكيل والنّقش عليه . وقد استعمل الفنان التجاني هذه المادّة للتّزيين والتّنميق لإضفاء المسحة الجماليّة على الزاوية التجانيّة وخاصّة على المساجد والأضرحة كما هو مشاهد في جامع الشيخ أحمد عمار . واتّسم النّقش على الجبس بطريقتين الزخارف الغائرة والبارزة ذات اللون الأبيض أو المتعدد الألوان، ولكن أغلب الزّخارف الموجودة نفّذت بأسلوب الحفر الغائر.

والزاوية التجانية بهذه التقنية تضاهي المدن الإسلامية الكبرى في عمرانها ، من ذلك القصر الأموي خربة المفجر في بادية الشام وسامراء العباسية ، ومسجد ابن طولون وغيره ، كما كانت نماذج من اللوحات الجصية قديما محفوظة بمتحف الآثار القديمة بالجزائر والتي استخرجت من منطقة سدراته غرب اورجلان في القرن 4 هـ [1] .

ويكون السر في كثرة استعماله إلى سهولة تشكيل هذه المادة والنقش عليها ، وقد أشار ابن خلدون إلى استعمالها وتقنية زخرفتها بقوله: "... ومن صناعة البناء ما يرجع إلى التنميق والتزيين ، كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من جص يخمر بالماء ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريما بمثاقب الحديد إلى أن يبقى له رونق... " [2]

[1] عبد العزيز حسونة ، **النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف** ، مرجع سابق ، ص 131 .

[2] عبد الرحمان بن خلدون ، **المقدمة** ، مرجع سابق ، ص 512 .

2- الخشب : لم يكن في المنطقة خشبا رفيعا ، لأنّها تفتقر إلى الأشجار الكبيرة، ولا تتوفّر إلا على جذوع النّخيل، الجريد ، الليف و الكرناف .

ولهذا فإنّ الزاوية التجانية كانت تجلب هذه المادة من خارج المنطقة (تونس وليبيا أو المغرب الأقصى) . ورغم ذلك فإن يد الفنان التجاني قد استطاعت تحويل هذه المادة إلى تحف استعملها في التّزيين أو التغطية، حيث صنع منه الدرابزين وبعض الزخارف الهندسية أو النباتية الملاحظة على أبواب الخزائن الجدارية، والمنابر في أشكال نباتية دقيقة من أفرع وأوراق وأنصاف مراوح نخلية متشابكة غاية في الدقة والإتقان[1] .

ومن بين ما عرفه الفنان التجاني في الزخرفة على الخشب أسلوب تشبيك قطع خشبية صغيرة ببعضها البعض، بواسطة ضلوع خشبية أو ما يسمى بالذكر والأنثى لتشكل معا وسيلة من وسائل تخفيف وتقليل الرؤية، أو ستر الأماكن والقاعات مع عدم حجب الإضاءة لذلك نجدها بكثرة على نوافذ جامع الشيخ أحمد عمار ، كما يرجع السبب في انتشار هذه الطريقة إلى كونها تمنع الحشوات الخشبية من الالتواء نتيجة الحرارة العالية بالمنطقة، فهي سهلة الحركة داخل إطار صلب يساعدها على التمدد والانكماش دون تقوس أو تلف أو يؤثر ذلك على باقي الحشوات [2].

وهي من الأساليب المعروفة على كل حال في الصناعات الخشبية الإسلامية، خاصة في أواخر العصر الفاطمي والعصرين الأيوبي والمملوكي، فقد احتفظت لنا العمائر الإسلامية سواء دينية أو مدنية بالكثير من الأبواب ، فضلا عن المنابر والدكك والكراسي والموائد وحوامل

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 183 .

[2] المرجع نفسه، ص 184 .

المصاحف والنوافذ والأسقف والمشربيات وصناديق حفظ القرآن وغير ذلك من التحف الخشبية [1] ، ينظر : (الملحق رقم 27).

3- المعادن:

إنّ استخدام المعادن في الزخرفة من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان وأهمها على الإطلاق النحاس والحديد والبرونز والفضة وغيرها، ولكن ما نلاحظه في الزاوية التجانية معدنين أساسيين استخدما بكثرة وبنسب متفاوتة وهما النحاس والحديد:

3-1- النحاس: استخدمت الزاوية التجانية النحاس في صناعة الأبواب وخاصة ذو اللون الأحمر، حيث نجده على الأبواب الخارجية الضخمة؛ سواء التي بمصراعين كالمدخل الرئيسي للزاوية ، أم التي بمصراع واحد كما هو الحال بأحد مداخل الحوش الشرقي .

وكانت عمليات الزخرفة على النحاس تختلف وتتعدد على حسب نوعية النحاس ومجالات استعماله، لكن الشائع حسب النماذج الموجودة على الأبواب نجد أن عملية الحفر الغائر استعملت بكثرة عكس الحفر البارز، ذلك أن وجه المعدن في هذه الحالة يحتاج إلى أدوات خاصة بالضغط غير متوفرة محليا، بالإضافة إلى صعوبة تحديد العناصر الزخرفية والتحكم في العمق والانحناءات والأطراف والزوايا الحادة وغيرها، كما لجأ الفنان إلى استخدام تقنيتي الحز والنقش بشكل كبير لسهولة تنفيذها، ودورها في إخفاء الخدوش الناتجة عن عمليات الدق، كما استخدم المسامير النحاسية الكبيرة أو الصغيرة المبردة الحواف في تدعيم هذه الزخارف وإعطاءها شكلا متميزا ، ينظر: (الملحق رقم 28).

وعموما إنّ عمليات الزخرفة على النحاس تعتمد بالدرجة الأولى على حس الشخص وذوقه الفني الذي يقوم بعمليات النقش، حيث تتطلب العملية الدقة والحرص في استخدام الأدوات[2] .

---

[1] مجموعة من الباحثين، **الفن العربي الإسلامي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1997 ،ج3 ، ص 31، 32

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 185 .

3-2- الحديد: استعملت مادة الحديد للتشكيل الزخرفي في مجال محدود، حيث اقتصر استعماله في أماكن معينة دون غيرها، إذ صنعت منه قضبان زخرفية بأشكال مختلفة لتسييج النوافذ أو تدخل ضمن وحدات زخرفية فوق مداخل الأبواب، أو لصناعة الدرابزين المطلة على صحن الزاوية [1] .

المبحث الثاني- تقنيات الزخرفة:

لقد اختلفت طرق الزخرفة وتقنياتها باختلاف المواضيع الفنية والمواد المستخدمة في الزخرفة، حيث يرتبط الإبداع الفني بمهارات الفنان وقدراته من جهة، وبطبيعة المادة من حيث صلابتها وطواعيتها من جهة أخرى ولعل أهم طرق الزخرفة المتبعة نجد:

1- تقنيات الحفر :

وهي من أقدم وأهم التقنيات المستعملة في عمليات الزخرفة، حيث استعملت استعمالا واسعا في تشكيل الزخارف على الكثير من المواد الصلبة واللينة، كالزخرفة على الجص والحجر والرخام والعاج والخشب والمعادن والطين الخزفية [2]

اعتمد الفنان التجاني في زخرفة مباني الزوايا التجانية بشكل كبير على مادة الجص، لما له من خصائص السهولة والطواعية وسرعة الجفاف، والحفر على الجص ليس بالأمر السهل كما هو الحال في فن النحت، فإذا كان هذا الأخير يتطلب القوة العضلية والصبر والثقافة المعرفية الواسعة، فإن فن الحفر يتطلب إضافة إلى ما سبق، الكثير من قوة الملاحظة والتأمل والدقة والحكمة والإلمام بقواعد الرياضيات والهندسة بصفة خاصة والإلمام أيضا بالزخرفة وفنيات

[1] المرجع السابق ، ص 185 .

[2] عبد العزيز لعرج، **جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان، دراسة فنية أثرية جمالية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط**، معهد الآثار، جامعة الجزائر ، 2007م ، ص109 .

الحفر على الجص، ومعرفة خصائص هذه المادة من حيث الاستعمال والتشكيل، وتأثير الحرارة والبرودة عليه [1].

لأن كما هو معروف الحرارة المرتفعة تعيق استعمالها وتفقدها مرونتها، التي بواسطتها يسهل التشكيل ويتيسر الحفر ، مهما كانت مقدرة الفنان قوية وإمكانياته الفنية والتقنية كبيرة ذلك أن سرعة جفاف الجص تفوق سرعة التنفيذ لديه، وهو ما يتطلب منه إضافة مواد أخرى أحياًنا كالغراء أو الملح وغيرها، وبالتالي أن من يتعامل مع هذا الفن يفترض أن يكون أخصائيا فيه، فهو الوحيد الذي يملك القدرة على تنسيق الأشكال الهندسية الدائرية والمستقيمة والأشكال ذات الزوايا المنفرجة والحادة، والأشكال التي تجمع هذه أو تلك أو غيرها[2] .

وتتنوع تقنية الحفر على هذه المواد من حفر غائر وحفر مائل ومسطح أو بارز وهناك عدة طرق من الحفر استعملها الفنان التجاني لإنشاء زخارفه على هذه المادة من بينها :

1-1- الحفر البارز :

يعمد فيه الفنان إلى تحديد الزخارف بواسطة قلم أو سن مدبب، ثم يحفر الأرضيات المحيطة بالموضوع الزخرفي، فتظهر هذه العناصر بارزة على أرضية غائرة [3] ، ينظر: (الملحق رقم 29) .

1-2- الحفر الغائر :

فهو عكس الحفر البارز، وفيه تكون الزخارف المحفورة إلى الداخل مع ترك الأرضيات كما هي بدون حفر أو نقش، ويرتبط بهذا الحفر، الحفر المائل الذي تتجه فيه وسيلة العمل أو الآلة بطريقة مائلة حول العنصر الزخرفي، وهي طريقة أسهل وأسرع في التنفيذ، مما جعل الفنان

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 189 .

[2] المرجع نفسه ، ص 190 .

[3] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، 190 .

يكثر من استعمالها على جميع أنواع المواد الصلبة، كما أنها تساعد على اكتساب العناصر الزخرفية الإحساس بالمنظور، بفضل انعكاس الضوء عليها، بحيث يبدو سطح العنصر مضيء وخطوطه التحديدية المحفورة حفرا غائرا أو مائلا مضللة معتمة، وكلما كان الحفر عميقا كلما بدت العناصر أكثر بروزا، لذلك نجد أن المصريين القدماء استخدموها بكثرة في المعابد والمقابر القليلة الضوء لتساعد الظلال على وضوحها ولتعمر طويلا [1].

ولتنفيذ الزخارف في اللوحات الجصية على الجدران يلجأ الفنان إلى تحضير صفيحة من الورق السميك أو المعدن الخفيف، ويرسم عليها نموذج معين من الزخارف توضع هذه الصفيحة على الجدران ثم يمرر عليها كيس ذو مسامات به مسحوق أسود، فالمساحات ذات اللون الأسود هي التي تمثل الزخارف، فيتم حفرها بواسطة أزاميل مختلفة الأحجام، وذلك حسب نوعية العناصر الزخرفية .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هذه التقنيات كانت سائدة منذ العصور الأولى في الفن ، أما الطراز الإسلامي فقد تميز بخاصية جديدة في تنفيذ العناصر الزخرفية، مما أمكن اعتبارها طريقة إسلامية خالصة ، وتقوم على تقنية القالبية أو القولبة كما شهدت ازدهارا كبيرا خلال القرنين السابع والثامن، وشملت جميع المنشآت في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، بحيث لا يخلو أي مسجد أو قصر من هذه الزخارف الجصية [2].

أما طريقة الحفر على الخشب والمعادن فهي نفس الطريقة المستعملة في تشكيل الزخارف على الجص، مع الاختلاف في الوسائل ومراحل الإنجاز، لاختلاف طبيعة المواد وخصائصها، فقد استعملت تقنية الحفر البارز في زاوية قمار على مصراعي باب الخزانة الجدارية، حيث

[1] المرجع السابق ، ص 190 .

[2] مجموعة من الباحثين ، **الفن العربي الإسلامي** ، مرجع سابق، ص273 .

نفذت الزخرفة فيها على مستويين، أرضية ذات عناصر نباتية تمثل أوراق السرخس، والمستوى الثاني يجسده الإطار العام الذي يأخذ شكل ضفيرة تتخلله أزهار صغيرة على شكل نجوم .[1]

2- تقنية القولبة :

وتتم هده العملية بحفر الزخارف على قوالب خشبية أو جصية أو طينية أو أي مادة أخرى مناسبة، حسب مقاسات وحجم أماكن الاستخدام، ثم تطلى بمادة دهنية وهذا لمنع التصاق الزخارف بالقالب، ثم تعبّأ بالجص ويضغط عليه لتتخذ العناصر الزخرفية شكلها في ذلك الجص، ثم يفصل القالب عن الزخارف المشكلة فبل جفافها، ثم يشرع الفنان في معالجته للعناصر من قطع وحفر أو تجديد أو تخريم باستعمال آلة حديدية حادة، أو مقص وفي النهاية يقوم الفنان بلصق وتثبيت هذه الزخارف في أماكنها باستعمال المسامير والخيوط **[2]**. وهذه الطريقة تتميز بالسرعة في استخراج نسخ متكررة من وحدة زخرفية تعطي عند جمعها مساحات كبيرة في وقت قصير ونفقة قليلة .

كما استخدم الفنان التجاني ولا يزال إلى يومنا هذا تقنية أخرى باستعمال القالب دائما، وذلك بوضع طبقة من الجص اللين على المساحة المراد زخرفتها، ثم يقوم بالضغط عليها بواسطة القالب الذي عادة ما يكون من الخشب أو من المعدن، وهو ما يزال في حالته اللينة لمدة زمنية معينة ثم ينزع القالب ويقوم بمعالجة الزخارف معالجة دقيقة تتخذ معه مظهرا جميلا أملس [3].

3- تقنية التعشيق :

يقوم أسلوب التجميع أو التعشيق على جمع الحشوات الخشبية مع بعضها البعض بواسطة ضلوع خشبية (قنانات) أو ما يسمى بالذكر والأنثى، ويطلق عليها بالمصطلح الفني" ضرب خيط" ويكون ذلك بأحجام وأشكال مختلفة، كما تسمى هذه التقنية بتقنية اللسان والنقرة، لأنها

---

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 191 .

[2] عبد العزيز لعرج، **جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان** ، مرجع سابق، ص110 .

[3] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 192 .

تقوم عن طريق إدخال لسان أحد القطع في نقرة الأخرى، سواء كان ضلعا أو شريطا أو إطارا، وعملية الإدخال هذه هي التي تدعى بالتعشيق [1].

وهي ابتكار إسلامي محض جاء استجابة لطبيعة الخشب وخاصيته من حيث التمدد والانكماش والانتفاخ، بتأثير من الحرارة والرطوبة، وهي العوامل الطبيعية التي تميز المنطقة كما جاءت تلك الطريقة نتيجة الافتقار للأنواع الجيدة من الخشب وتلاؤمها مع الاستغلال الأقصى لما وجد منها [2] .

ويشير بن خلدون إلى هذه التقنية في صناعة الخشب وتزيينه بقوله : " ... تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخرط يحكم بريها وتشكيلها، ثم تؤلف على نسب مقدرة وتحكم بالدساتر، فتبدو لمرأى العين ملتحمة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب، يصنع هذا في كل شيء يأتي من الخشب فيجيء آنق ما يكون ..."[3] .

وقد عرف أسلوب التعشيق الدقيق ذو القنانات والحشوات الصغيرة منذ أواخر العصر الفاطمي، وخير مثال لهذا التعشيق وجد في محراب السيدة رقية، ومحراب السيدة نفيسة بالقاهرة، فكانت الحشوات المربعة أو المستطيلة أو المثلثة أو المسدسة تعشق في قنوات، ثم تطورت وأصبحت تفصل بينها ضلوع خشبية أطلق عليها كما سبق وذكرنا قنانات[4].

وفي بلاد المغرب الإسلامي استخدمت على نطاق واسع في معظم المباني المرينية الدينية والمدنية، وخير مثال على ذلك الزخارف الخشبية بسقف جامع سيدي الحلوي بتلمسان وكذا المدرسة البوعنانية بفاس [5] .

---

[1] المرجع السابق ، ص 193 .

[2] عبد العزيز مرزوق ، **الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الثقافة، بيروت ، د ت ، ص154 .

[3] عبد الرحمن بن خلدون ، **المقدمة** ، مرجع سابق، ص731 .

[4] مجموعة من الباحثين ، **الفن العربي الإسلامي** ، مرجع سابق، ص243 .

[5] عبد العزيز لعرج، **جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان** ، مرجع سابق، ص 113 .

أما الزاوية التجانية ورغم فقر المنطقة في إنتاج الأنواع الجيدة من الأخشاب، مما كان له أثره في ضرورة استيراد هذه الأنواع بما يمكن أن تفي بالغرض المطلوب، فنجد مثلا بعض الحشوات الخشبية التي عمد فيها الفنان التجاني إلى عمل شبابيك، خاصة بالنوافذ والفتحات التي كان لها دور معماري وفني في آن واحد، من حيث أنها تقوم بدور العازل الضوئي داخل أماكن العبادة كالمساجد والأضرحة في إطار فني جميل، وإن كان قد مس العديد منها أجزاء، أو وصلات اندثرت أو تشوهت وذلك لأسباب طبيعية وأكثرها بشرية، ككثرة تغيير أماكنها باعتبارها من التحف المنقولة، أو لحب امتلاك القطعة في حد ذاتها [1].

4- تقنية الطلاء بالألوان :

وقد أثبتت الدراسة الميدانية على أن الزخارف بالألوان كانت تنفذ مباشرة بالفرشاة على المساحات المراد زخرفتها بدقة متناهية، وهذا يدل على وجود فنانين متخصصين كانوا يقومون بهذا العمل، وكذلك تعددت أنواع الطلاء التي استخدمت في تلوين الزخارف من حيث طريقة استخراجها واستخدامها، وإن طغى عليها في أغلب المساحات طلاء الألوان المائية التي كانت تحضر محليا بطريقة تقليدية، تمزج فيها المساحيق بالماء بدرجات متفاوتة ومضبوطة للحصول على الألوان المطلوبة، أو تلك التي اعتمد فيها على الألوان الطبيعية التي كانت تجلب من تونس أو المغرب [2].

ويذكر بعض الشيوخ في المنطقة أن هذه الألوان المستخرجة كانت تخلط بمادة تعرف محليا "باللاقمي "أو عصير النخيل الغني بالسكر، والذي يجمع من لب النخلة ويساعد على تثبيت

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 194 .

[2] المرجع نفسه ، ،ص 195 .

الألوان ويحافظ على بريقها ولمعانها، وقد استعمل هذا الأسلوب خاصة على زخارف القبة المركزية بمسجد الشيخ أحمد عمار والقبة الهرمية بزاوية قمار [1].

عمد الفنان التجاني إلى تلوين الزخارف الجصية بطلي أرضياتها أو عناصرها، كما في زخارف القبة الهرمية ، فنجد ألوان متعددة منها الأحمر بدرجاته والأخضر والبني والأصفر والأزرق، مما أكسب الزخارف رونقا وجمالا .

ولكن يبدو أن هذه التقنية من الزخرفة انفردت بها الزاوية التجانية في المنطقة الصحراوية دون سواها من مباني القصور، والواقع أن الألوان كطريقة فنية وتقنية ليست منحصرة على الجص بل عمت معظم مواد الزخرفة، وهي ظاهرة قديمة حيث لجأ فيها الفنان المسلم إلى طلاء أرضيات الزخارف وخطوطها التحديدية، على مواد متعددة كالرخام والخشب والمعادن .

ويذهب الدكتور عبد العزيز لعرج إلى أن هذه التقنية تكاد تنفرد بها مباني القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي، حيث وجدت في تاجي محراب جامع سيدي أبي مدين وسيدي الحلوي، وكذا زخارف الجص بواجهة محراب الجامع والقصر بالعباد[2]

والحديث عن مواد الزخرفة وتقنياتها بصفة عامة، يقودنا حتما إلى الحديث عن المواضيع الزخرفية المستعملة في الزاوية التجانية، ومدى تماشيها مع الخبرات المحلية المتاحة والظروف الطبيعية السائدة، لذلك سنحاول التطرق للعناصر الزخرفية التصويرية ومختلف الأشكال الفنية المستعملة [3].

[1] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 195 .

[2] عبد العزيز لعرج، **جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان** ، مرجع سابق، ص111 .

[3] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 195 .

المبحث الثالث- العناصر الفنية الزخرفية :

لعل من أبرز مميزات الفن الإسلامي أنه فن زخرفي، إذ استفاد الفنان المسلم من كل ما وقع عليه نظره من عناصر سواء كانت هندسية أو نباتية لتحقيق أهدافه الجمالية، فهو لم يكتف بهذا فحسب بل استغل الكتابة العربية أيضا بالنسق نفسه، بل وركب هذه العناصر وزاوج بينها في كثير من الموضوعات[1] ، وهو بذلك يريد أن يحشد في عمله الفني، كل ما لديه من عناصر ووحدات ليخرج هذا العمل قمة في الجمال فكانت العناصر الزخرفية هي أساس هذا التكوين الزخرفي.

وقد استعملت العناصر الزخرفية في الزاوية على نطاق واسع، وبالخصوص في العمائر الدينية كالمساجد والأضرحة وكذا أواوين التدريس والتي يمكن حصرها فيما يلي:

1- الزخارف الهندسية:

يلاحظ في الزاوية التجانية العديد من الأشكال الهندسية المختلفة التي تضفي مساحة جمالية ، وتتمثل هذه الزخارف بصفة عامة في العناصر الهندسية الخطية والمساحية والأشكال المضلعة والأطباق النجمية ، ينظر: (الملحق رقم 30).

1-1- **الخطوط** :

منها الخطوط المستقيمة والمنحنية والمنكسرة والمتقاطعة والمتوازية والمظفرة، نجدها إما منفردة أو مزدوجة أو ثلاثية، ممتدة على هيئة السبحة أو الضفيرة، أو نجدها تشكل الأطر التي تكون بداخلها تشكيلات زخرفيه متنوعة، استعملت خصوصا في ملء الفراغات والمساحات المتبقية عن التراكيب الزخرفية الهندسية والنباتية والكتابية [2].

وهذا العنصر لا غنى عنه في تشكيل كل اللوحات الفنية على الجص أو تلك المنفذة بالألوان المائية ، خاصة في العمارة الدينية، وكدليل على أهمية العناصر الخطية في رقي وازدهار

[1] أبو صالح الألفي، **الفن الإسلامي، أصوله، فلسفته، مدارسه**، دار المعارف ، لبنان ، ط2 ، 1974 م، ص 112.

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 198 .

الزخرفة الهندسية في ظل الإسلام، ما قاله الدكتور لعرج عبد العزيز: العناصر الخطوطية ... وحدات زخرفية قائمة بذاتها ولذلك نراها تهجم على أي فراغ أو مساحة مهما كان حجمها وشكلها مفترشة مهاده غارسة منحدراته، مستلقية، ممتدة أو قائمة، متعرجة، متقاطعة، أو متلاقية يحتضن بعضها بعضا، يتقابلُ أو يتدابر ولكن من كل هذه الامتدادات التصويرية يبدو الشكل الهندسي والخطوطي يتراقص خفة ويختالُ زهوا ويتواثب خفة ونشاطا أكسبه الفنان رقة وفخامة وجمال[1] .

1-2- المربعات والمستطيلات:

تعتبر المربعات والمستطيلات من الأشكال الزخرفية الهندسية الكثيرة الاستعمال في زخرفة واجهات الصحون، وفي الأروقة وداخل القباب على الجص الأبيض والمتعدد الألوان، حيث نجد المربعات والمستطيلات المركبة تركيبات متنوعة، نظمت إما بطريقة قائمة على رؤوسها أو على أضلاعها بأسلوب مميز، تتبادل فيها الألوان والأحجام حسب موقعها من العنصر الزخرفي العام، و نادرا ما نجدها ذات مساحات فارغة، إذ في أغلب الأحيان يكون بداخلها أشكال هندسية أخرى كالمعينات أو خطين متقاطعين أو متعامدين، بالإضافة إلى العناصر النباتية وخاصة الأزهار، كما أن تقاطع مربعين يكون أساسا لتكوين الأطباق النجمية المتعددة الرؤوس [2] .

1-3- المعينات :

لقد بلغ شكل المعين أوج ازدهاره في الزخرفة الهندسية على عهد بني زيان وبني مرين، لاعتبارها عنصرا أساسيا في تزيين مآذنهم[3]، ولكن هذا لا ينفي استعمال الموحدين للمعينات في

[1] عبد العزيز لعرج ، **جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان**، مرجع سابق ، ص 162 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 199 .

[3] عبد الكريم عزوق، **تطور المآذن في المغرب الأوسط مع بداية دولة بني حماد حتى نهاية العصر العثماني**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الإسكندرية ، مصر، 1991 م ، ص 183 .

مآذنهم على هيئة نماذج مخرمة على الجدران الجصية، إلى جانب أشكال هندسية على هيئة شرائط متصلة[1].

وقد استعملت المعينات بكثرة على مختلف أحجامها سواء على الجص أو بالألوان المائية طليقة أو مرتبطة مع بعضها البعض، فهي تملأ الأطر المحيطة بمختلف العناصر الزخرفية المستقيمة منها والمقوسة، في رقبة قبة المحراب بمسجد الشيخ أحمد عمار . كما تملأ الفراغات الموجودة فيما بين العناصر الأخرى، فنجد أشرطة من المعينات الصغيرة المتراصة تتناوب فيما بين البارزة والغائرة مما يسمح للضوء والظل أن يلعبا دورهما في إضفاء نوع من السحر على هذه الزخرفة [2].

دفع بالفنان إلى محاولة ابتكار أشكال جديدة، متفنًنا في تشكيلها فأوجد مثلا نوعا من المعينات ذات الحواف المفصصة، كما حاول استعمال العديد من المعينات بأحجام مختلفة لتشكيل شريط زخرفي منسجم .

1-4- الدوائر :

استخدم الفنان التجاني الدائرة أحادية أو مزدوجة أو ثلاثية الخطوط، سواء بالألوان المائية أو بالنقش على الجبس وفي وضعيات وأحجام وأماكن عديدة ومتفرقة ، فنجد [3] :

- دوائر تتضمن عناصر نباتية وخاصة الأزهار، أو أشكال هندسية كالمعينات أو المربعات أو كليهما معا، بالإضافة إلى أنصاف الدوائر وثلاثة أرباع الدائرة.

- دوائر متداخلة فيما بينها بأحجام متفاوتة ومقاسات شبه مضبوطة، يخيل للناظر بأنها ارتدادات لدائرة واحدة، وقد تشكل سلسلة من الدوائر، إما على استقامة واحدة أو منكسرة

[1] أرنست كونل، **الفن الإسلامي**، ترجمة: أحمد موسى، بيروت، 1966 ، ص 131 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 199.

[3] المرجع نفسه ، ص 192 .

– دوائر ذات حواف متعرجة أو مشعة يتوسطها خط دائري آخر أشبه ما تكون بقرص الشمس.

– دوائر من حلقتين واحدة كبيرة وأخرى صغيرة، متداخلة في شكل سلسلة مزدوجة التركيب تحّلي مرافق القبة الهرمية وكذا حنايا قبة المحراب بمسجد أحمد عمار، كما نجد دوائر أخرى كبيرة تغطي باطن العقد في المدخل الشرقي بحيث جعلت كل أربعة منها مربوطة بواحدة أصغر يتوسطها معين، ودوائر كبيرة ذات خط مزدوج متقاطعة ثنائيا وكل نقطة تقاطع تجمعهما دائرة أصغر.

1– د– الأطباق النجمية :

تعتبر الأطباق النجمية روح الزخرفة الهندسية الإسلامية وقلبها النابض، بل هي إحدى أهم الزخارف في الفن الإسلامي ككل، وأكثرها تعقيدا ومشقة، خاصة على البلاطات الخزفية و مصاريع الأبواب والأسقف والقباب الخشبية والمسطحات الجدارية النجمية المستوية أو المجوفة [1] .

يوجد أطباق نجمية صغيرة ومتوسطة في معظم الأماكن إما منفردة أو متصلة بعناصر هندسية أخرى، جنبا إلى جنب مع العناصر الكتابية والنباتية، فإن هناك أطباقا نجمية مميزة للغاية من حيث حجمها وطريقة صنعها، إما بالألوان المائية أو محفورة على الجص أو الخشب تتدرج في تكوينها من البساطة إلى التعقيد، وتتألف كلها من نجمة تتعدد أضلاعها المحيطة بها وتتنوع على حسب عدد الرؤوس النجمية، وينحصر هذا النوع في عدة مناطق [2] .

حيث نجد الأطباق النجمية ذات الرؤوس المتعددة من ستة إلى ستة عشر رأس، جزء منها نجدها على الجدران بأجنحة دار الضيافة، نفذت بواسطة الألوان المائية الداكنة، التي يغلب

[1] عبد العزيز لعرج ، **جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان**، مرجع سابق ، ص162 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ،مرجع سابق ص 201 .

عليها الأزرق والأخضر ويتألف الطبق النجمي فيها من نجمة ثنائية مركزية تشع منها المضلعات المعروفة التي تتخذ أضلاع مستطيلة أو معينة أو متقاطعة، ونجدها كذلك تزين الكوات في الرواق الجنوبي من مبنى القبة الهرمية ، وعلى ذكر هذه الأخيرة نذكر الأطباق النجمية الملونة من داخل القبة الهرمية على أضلاعها الأربعة وفي حزام الرقبة، التي تتميز بكونها تجمع ما بين الشكل الهندسي والنباتي نفذت بواسطة الحفر على الجص حيث لونت فيها الأضلاع بلون أخضر فاتح و داكن [1].

كما توجد أمثلة أخرى من الأطباق النجمية المخرمة رسمت بأسلوب تقليدي منظم، يغلب عليها المسحة الهندسية الجامدة داخل الأقبية النصف أسطوانية من إيوانات التدريس وقاعات قصر الضيافة بالزاوية ، تتألف زخارفها من أطباق نجمية متعددة المستويات من حيث حجمها، وتقوم على طبق مركزي كبير، تحيط به أطباق أخرى صغيرة متراكبة بداخلها أشكال نجمية، حصرت مضلعات الأطباق بخطوط تحديدية سميكة ويتكرر ربع طبق نجمي غير جامد في الأركان الأربعة من الموضوع .

2 –الزخارف الكتابية:

تعتبر الزخارف الكتابية من أهم فروع الفنون الإسلامية، لما لقيته من عناية وأهمية كبيرة، أسهم الفنان المسلم في إسباغ روح الابتكار والإبداع عليها، منذ نشأتها الأولى ساعده في ذلك ما يمتاز به الخط العربي من مرونة وطواعية وسهولة ولدانة، من حيث قابليتها للتشكيل الزخرفي [2] ، بنظر : (الملحق رقم 31) .

فرؤوس الحروف وسيقانها وخطوطها الرئيسية والأفقية وأقواسها ومداتها كلها ساعدت على تكوين موضوع زخرفي متكامل، استراح له الفنان فاندفع في هذا الاتجاه يبتكر الزخارف الخطية

[1] المرجع السابق ، ص 202 .

[2] حسن الباشا، **الخط العربي الأصيل**، مقال في كتاب حلقة بحث الخط العربي المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1966 م، ص48 .

التي خرج بها عن طبيعتها أحيانا، إذ كان همه الوحيد إرضاء الفن لا العلم، الشيء الذي جعلها أحيانًا غامضة غير مقروءة مقتصرة في وظيفتها على الزخرفة فقط [1] .

وانعكس هذا الفكر على الكثير مما أخرجه الفنان المسلم من موضوعات فنية على ما شيده من مباني دينية ومدنية، حيث زخرفت هذه وتلك بالعديد من الآيات والشعارات الدينية والجمل المتنوعة والمختلفة من صيغ الدعاء والمدح وغيرها، والزاوية التجانية بقمار تدخل ضمن هذا الإطار، إذ نجد أن معظم وحداتها المعمارية مزخرفة بالعديد من الصيغ الدينية والأدعية والآيات القرآنية، وإن نفذت في مجملها عن طريق الألوان المائية بأسلوب بسيط يعبر عن بساطة مستوى الفنان في الكتابة، ومن هذه العبارات نجد:

– أسماء الله الحسنى نجدها داخل دوائر مترابطة أعلى رقبة قبة المحراب بمسجد الشيخ احمد عمار، وفي أماكن متفرقة من الجدران وأطر الأبواب بأواوين التدريس وقاعات قصر الضيافة.

– وجود البسملة كاملة في أماكن متفرقة خاصَّة داخل المساجد والأضرحة.

– وجود بعض الآيات القرآنية وزعت كلماتها في معينات صغيرة ذات أرضية زرقاء داكنة ، كتبت بخط النسخ والمعوذتين وسورة الإخلاص[2].

كما نجد في عبارات الصلاة والسلام على النبي الكريم، وأسماء الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وعبد الرحمان بن عوف.

– ذكر شهادة التوحيد على قسمين ، حيث نجد في موضع عبارة لا اله إلا الله وفي موضع آخر عبارة محمد رسول الله، نفذت خطوطها بعفوية تامة .

كما نجد بعض الكتابات .[3]

---

[1] المرجع السابق ، ص48 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق، ص 204 .

[3] المرجع نفسه، ص 204 .

نجد كتابة تأسيسية على صيغة دعاء في مسجد الشيخ أحمد عمار، والتي اكتشفت مؤخرا ونفذت بأسلوب الحفر الغائر بخط مغربي تخلد اسم النقاش وتاريخ الإنجاز قوامها :

اللهم اغفر لنا العبد الفقير إلى الله أحمد بن الطاهر بن بالقاسم التجاني نسبا سنة1286 .

ويتضح إجلال وتقدير التجانيين للزخرفة الخطية من خلال استعمالهم لها حتى في العمائر المدنية، كالغرف والأروقة وبعض الملاحق الخاصة بها نذكر منها عبارة :

أعزك الله في الدارين ، ما شاء الله آمين ، الحمد لله على نعمه الوافرة ، بسم الله والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

3 –الزخارف النباتية :

تعتبر الزخارف النباتية في الفن الإسلامي من أبرز المظاهر والصور التي توضح ابتعاد الفنان المسلم عن تمثيل الطبيعة ومحاكاتها، حيث لجأ إليها بتوجيه من عقيدته الدينية [1]. ما جعله يبدع في صورها وأشكالها حتى بلغ بها درجة سامية من الفن والجمال تفوق فيها تفوّقا لا نظير له وتجاوز في إبداعها حدا لم يبلغه من سبقه من الفنانين أو تلاه[2].

ويعرف هذا الفن من الزخرفة عادًة بالتوريق أو الأرابسك ويتألف من رسوم زهور وسيقان وأوراق النباتات، توضع حسب قواعد دقيقة ونمنمة متقنة، على الرغم مما قد يظهر من تعقيد في خطواتها [3] ، ينظر : (الملحق رقم 31) .

نجد في الزاوية التجانية بقمار نماذج مختلفة ومتعددة من الزخارف النباتية، تجمع ما بين الأوراق والسيقان والأزهار والثمار والورود وغيرها بطريقة تنم عن أصالتها وانتماءها للفن الإسلامي، حيث نجد الأزهار المختلفة بكثرة سواء طليقة أو بداخل دوائر أحادية أو مزدوجة أو

[1] عبد العزيز مرزوق، **الإسلام والفنون الجميلة** ، دار الكتاب ، القاهرة ، 1944 م ، ص12 .

[2] عبد العزيز لعرج ، **جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان**، المرجع السابق ص203

[3] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 107 .

بداخل مستطيل أو مربع، سواء نفذت بالألوان المائية أو منقوشة على الجص، رسمت إما بفصوص متصلة مع بعضها البعض ومنفصلة عن مركزها، أو ببتلات متعددة منفصلة فيما بينها ومتصلة بالمركز، يتراوح عددها من خمسة إلى تسعة، يغلب عليها اللون الأصفر والأزرق والبني الداكن، كما نجد أزهار أخرى مركبة على عدة أشكال وأحجام، أهمها الأزهار التي نفذت بالألوان المائية الداكنة، على مختلف المساحات الجدارية كأطر الأبواب والنوافذ والعقود والقباب [1].

وهناك نوع آخر من العناصر الزهرية التي شكلت بطريقة مجردة تميل إلى العناصر الهندسية أكثر منها إلى الزخرفة النباتية، فهي تنتج من تقاطع مجموعة من أنصاف الدوائر المتساوية المقاييس، خاصة على اللوحات الجصية نجد أمثلة منها في حواشي الأطباق النجمية المخرمة التي تزين أقبية أواوين التدريس ، حيث استعملت كتفاصيل زخرفية تملأ الفراغات بين العناصر الهندسية . أما القبة الهرمية فقد زينت من الداخل بزهرات كبيرة تغطي معظم مساحتها، نقشت بطريقة فنية دقيقة ورائعة حيث جاءت نهاية بتلاتها مدببة تتخللها زخارف نجميه صغيرة.أما الأغصان أو الفروع فتعتبر العنصر الأساسي الذي تقوم عليه كل زخرفة نباتية فبوجودها يستطيع الفنان تكوين موضوع زخرفي متكامل، منها تنمو السيقان الصغيرة والأوراق المتعددة والأزهار المتنوعة، لهذا فان غيابها يعد بمثابة بتر حيوية ورقة وجمال الزخرفة النباتية [2].

وخلاصة القول :

تعتبر الزاوية التجانية معلم معماري ، غلب على عمارتها الطابع المغربي الأصيل ، فقد استطاعت أن ترث روعة الفنون والعمائر التي ميّزت حواضر المغرب الإسلامي الكبرى وخلدت الكثير من مآثرها ، فعندما تقف أمام باب الجنان الذي يعرف بقوس النصر بزخارفه الرائعة

[1] المرجع السابق ، ص 107 .

[2] مراد حديبي ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري** ، مرجع سابق ، ص 108 .

وبوابته الضخمة يخيل إليك أنك تقف أمام بوابة جامع سيدي بومدين أو سيدي الحلوي بتلمسان، وعندما تشاهد قبة مسجد سيدي أحمد عمار تظن أنها نسخة مصغرة لقبة جامع عقبة بالقيروان ، وعندما تقف وسط صحن حوش السادة المحاط بالأقواس الحدودية المتجاوزة ودعاماتها المربعة تظن وكأنك وسط إحدى مدارس أو قصور تلمسان [1].

حافظت الزاوية التجانية على خصائص العمارة الإسلامية وصفاتها لتعطي هويّتها النابعة من الدين الإسلامي، وحتى بعد تجديد الزاوية فإنها لا تزال محافظة على النمط الإسلامي المتمثل في جود الصّحن والمحاط بالممرات أو الأروقة، وكل رواق صفف بالعقود المبنية على أعمدة ، إضافة إلى القباب والمئذنة .

[1] عبد العزيز حسونة ، **التحول وضرورات الإهمال بين القديمة قمار** ، الملتقى الوطني الثامن حول التراث الثقافي ، مرجع سابق، ص 120 .

خـاتمة

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكننا استخلاص بعض النتائج التي توصلنا إليها الخاصة بالزاوية التجانية بقمار؛ تاريخها،عمرانها وعمارتها، والتي يمكن أن نجملها في النقاط التالية :

– قمار حاضرة علمية ودينية في وادي سوف ، وقد نالت هته الأهمية بفضل المساجد والزوايا التي بنيت فيها ، حيث كانت بداية عمارتها مع مسجد سيدي مسعود الشابي ، ثم عرف عمرانها تطورا كبيرا بفضل الزاوية التجانية التي حوّلت المدينة إلى مركز اجتماعي وديني ضخم كونها قبلة يؤمها المريدون من كل مكان؛ من قرى وادي سوف المختلفة ، بلاد وادي ريغ وتماسين ، وبلاد الجريد التونسية .

– الطريقة التجانية هي منهج عملي في العبادة من أجل البلوغ إلى إرضاء الله تعالى في الظاهر والباطن ، في كل صغيرة وكبيرة. وقد ظهرت في القرن الثامن عشر (1781م) وانتشرت في أول الأمر بالجنوب الجزائري (عين ماضي بالأغواط، تماسين بورقلة ، قمار بالوادي) .

– المعنى الحقيقي للزاوية هو الركن الذي ينبثق منه الإشعاع الروحي ليعم جميع الناس وينير كل الدروب، ويضئ كل مجالات الحياة الدينية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، العمرانية والمعمارية ، وهذا ما كشفت عنه الدراسة حيث وجدنا أن الزاوية التجانية كانت رائدة في كل المجالات منذ تأسيسها إلى اليوم .

– الزاوية التجانية بقمار هي أول زاوية بالطريقة التجانية تأسست بأمر من شيخها الشيخ أحمد التجاني في الجهة الشرقية من مدينة قمار سنة 1789م ، وقد اختار الشيخ هذا المكان لموقعه الاستراتيجي ، حيث تتوسط مدينة الوادي وتبعد مسافة متقاربة بين كل قراها ،كما أنها تقع على الطريق المحوري الذي يربط وادي سوف بجامع الزيتونة مركز العلم والفقه .

– كانت الزاوية التجانية أول الأمر قاعة مربعة الشكل (9م x 9م) موجودة خارج السور الحائط بالمدينة ، أي في مكان خالي من العمران، ولهذا فهي أول من عمّر الجهة الشرقية من قمار .

– تعد الزاوية التجانية بقمار مدينة دينية ومدنية فاقت الزوايا الأخرى ، وذلك لاهتمامها بالعمران الاجتماعي إلى جانب الديني ، حيث شهدت عدة توسعات عرفت فيها زيادة في المباني وتنوّعا فيها، من ذلك: مسجد سيدي أحمد عمار ، مسجد سيدي حمه العروسي ،دار السادة أو حوش أسيادنا ، الحوش الشرقي .

– تعتبر الزاوية التجانية رائدة في منطقة سوف في المجال العمراني والمعماري؛ فأما الأول بإدخالها الطابق الأول لأول مرة في تاريخ المنطقة ، وتصميم القبة الهرمية الفريدة من نوعها والمختلفة عن القباب النصف الكروية المعروفة في المنطقة أيضا. أما الثاني فإدخال فن الزخرفة والنقش من خلال جلب الفنان أحمد بن الطاهر بن القاسم التجاني .

– واكب تشييد الزاوية التجانية بقمار نهضة علمية وثقافية كبيرة لعبت الزاوية من خلالها دورا مهما في منطقة وادي سوف في جميع الميادين ،الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية. حيث كانت مركزا للتعليم وطلب العلم حافظ على مقومات الهوية الإسلامية (الدين ،اللغة العربية) خاصة في فترة الاستعمار الفرنسي . كما كانت مأوى اجتماعي تستقبل الوافدين . زد على ذلك محكمة لفض النزاعات بين الناس بالحلول السلمية (إصلاح ذات البين). إلى جانب كونها مؤسسة اقتصادية تساعد الفقراء والمحتاجين ، وتشجع على الصناعات التقليدية (صناعة الزرابي) . فكانت بحق أنموذجا عمليّا رائعا ، صنعه شيوخها وأبناؤهم للتأكيد على حقيقة واحدة مفادها إنّ الإسلام دين العلم والعمل والعبادة .

– إن الزاوية التجانية بقمار معلم تاريخي وطني ، ومصدر تاريخي صادق، كان ولازال ناطقا بما أنجزه شيوخ الطريقة التجانية من حضارة في بيئة صحراوية صعبة المِراس.

– إن تصميم الهيكل العام للزاوية وعناصرها الإنشائية وتخطيطها العمراني المتراص يعكس وحدة أفرادها وتضامنهم ما يعبر عن روح الجماعة فيها . كما يكشف عن عبقرية بنّائيها في هذا المجال ومهارتهم في التغلب على الطبيعة الصحراوية الحارة صيفا والباردة شتاءً باستخدام الوسائل البسيطة والإمكانات المتاحة .

– حافظت الزاوية التجانية على طابعها المعماري الإسلامي على مر الزمن ، فهي لم تتأثر بالمعمار الغربي . كما حافظت على طابعها الصحراوي أيضا من خلال توجيه معالم الزاوية ؛ مداخلها وشوارعها الرئيسية باتجاه شمال شرق للاستفادة قدر الإمكان من أشعة الشمس الأفقية ، وتجنب مواجهة الزوابع الرملية والرياح الموسمية .

– تميزت الزاوية التجانية من الجانب المعماري بالتنظيم المحكم في توزيع العناصر والكتل المعمارية داخليا وخارجيا، المداخل والأبواب، منافذ الضوء . إلى جانب الدقة في المقاسات (الطول ، العرض ، السمك ، الارتفاع).

– أما فيما يخص مواد البناء نجد أن المعماري التجاني استخدم ما هو متوفر في محيطه الطبيعي كالحجر الجيري الموجود في كل مكان ، والذي استعمله كمادة لاحمة أو لتلبيس الأجزاء المكشوفة . وخشب النخيل الذي استخدمه لحمل الأسقف المسطحة أو أشرطة سميكة لصنع الأبواب ، أو لتشكيل العقود والأقبية .

– وفي المجال التقني ونعني به تقنيات البناء كشفت الدراسة عن قدرة البناء التجاني في إخضاع هذه الأساليب وتكييفها حسب ما يملكه من مواد ، وبما يناسب الطبيعة الصحراوية وما يلزمه من مهارات في إنجاز الهياكل المعمارية المختلفة .

– أما الجانب الفني الزخرفي فقد اهتم التجانيون به كثيرا ، وذلك لارتباطه بالجمال الذي يمثل تجلّ إلهي عند الصوفية عامة ، ولهذا أبدعوا في التعبير عن أسمى معانيه ؛ سواء الجمال

الروحي في سبيل تهذيب النفس وترقيتها في درجات الكمال الإنساني . أو الجمال المادي الملموس الذي يظهر في المنشآت الدينية والمدنية في الزاوية من خلال الزخارف الفنية المتنوعة الأشكال والتراكيب .

– ما يلاحظ على هذه الزخارف هو اعتماد الفنان التجاني على الزخارف النباتية أكثر من نظيرتها الهندسية والخطية ، والتي نفذها بواسطة الحفر على الجص أو الخشب ، أو باستعمال الألوان المائية خاصة عنصري الأزهار والأوراق . وذلك لأن النبات مظهرا من مظاهر الطبيعة التي تمثل تجلّ حقيقي للجمال الإلهي الذي يثير التأمل والتدبر عند الصوفي.

– وحقيقة القول إن العمران تعبير مادي عن حضارة وثقافة أهله ، ومدى ذوقهم الفني ، والدراسة كشفت لنا عن هذا من خلال الوحدات العمرانية والعناصر المعمارية والفنية التي تزخر بها الزاوية من الداخل والخارج ، فهي تكاد تكون قصرا فخما متعدد الأرجاء بدل زاوية دينية بسيطة .

– وفي الأخير يمكن القول إن الزاوية التجانية بقمار بعمرانها المتقن الصنع وجماليات عمارتها ، تكشف عن المستوى الثقافي والفني لشيوخ الزاوية وأهلها والمستمد من تعاليم الطريقة التجانية. كما يدل على الارتباط الوثيق بالنتاج الحضاري الذي أفرزته الحضارة الإسلامية في أقطار متعددة من العالم الإسلامي . من خلال التواصل والاحتكاك الثقافي مع الآخر عبر العلاقات الودية والرحلات العلمية ، ونشر الطريقة التجانية ومبادئها التي تكرس مبدأ الأخذ والعطاء .

– لهذا فإن الزاوية التجانية بقمار تضاهي المدن الإسلامية الكبرى (فاس ، تلمسان ...) وتكشف عن انتمائها إلى الحضارة الإسلامية بشقيها المغربي والمشرقي ، رغم بعدها عن مراكزهما ورغم البيئة الصحراوية وظروفها الصعبة . فهي نموذجا للمدينة الإسلامية في منطقة وادي سوف في العصر الحديث ، فقد كانت بطابعها المعماري الصحراوي الإسلامي مدينة

متضحة المعالم راسخة البصمات والتأثير على محيطها الجغرافي . وهي إلى اليوم لا تزال تحافظ على هذا الطابع الأصيل سواء العمراني أو المعماري رغم تعاقب السنين والأحداث عليها. فكما يقول المثل: آثارنا تدلّ علينا، فبالحقّ يندهش من جمال الزّاوية التجانية بقمار كلّ سائح وزائر يزورها ويشهد على ذلك رسم انطباعاتهم في السّجل الذهبيّ الموضوع لهذا الغرض منذ عشرات السنين .

وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا في الإلمام بالموضوع من كل جوانبه ، وساهمنا ولو بقليل في التعريف بمعلم تاريخي وطني هام في منطقة وادي سوف ، ألا وهو الزاوية التجانية بقمار ، وتوضيح جانب مهم من العمارة الإسلامية في الصحراء الجزائرية . ونأمل أن يكون هذا البحث لبنة تضاف إلى صرح الدراسات التاريخية بالجزائر وتفتح أفاقا جديدة للبحث العلمي . من ذلك:

العمل على إنجاز أطلس تاريخي مصوّر يجمع المعالم الأثرية للزاوية التجانية، ويعرف بها، ويحدّد بدقة خريطتها ومواقعها حسب التسلسل الزمني لها .

تشكيل قاعدة بيانات لأرشفة وتوثيق كل المعالم الأثرية المتنوّعة التي تزخر بها الزاوية التجانية لتكون في متناول الباحثين والدّارسين .

فتح نادي علمي لدراسة الآثار بجامعة الوادي .

الملاحق

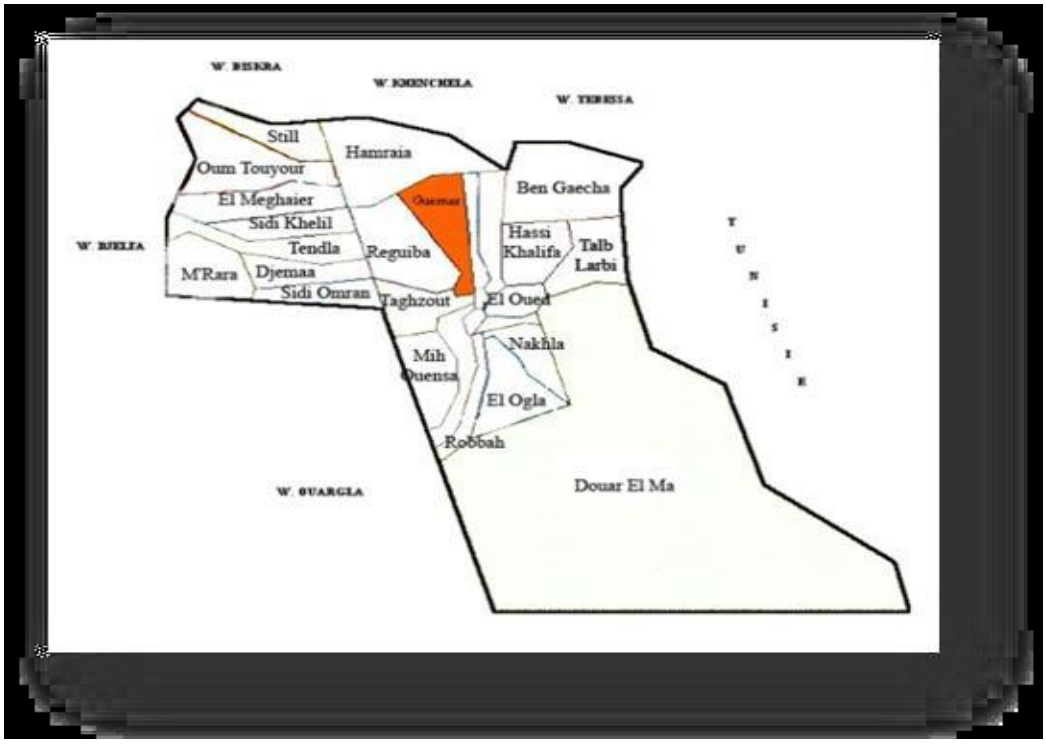

الملحق رقم 01 : توضح موقع دائرة قمار على مستوى الولاية

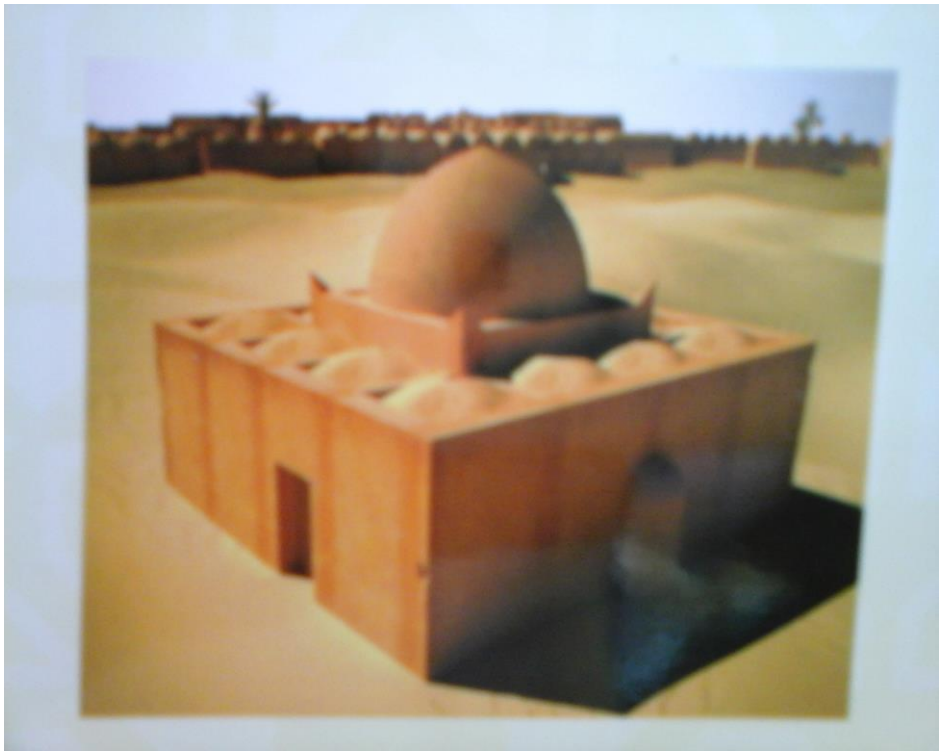

الملحق رقم 02 : النواة الأولى للزاوية التجانية

المصدر : مكتب دراسات خليلي عبد الحفيظ

الملحق رقم 03 : التوسعة الأولى للزاوية

المصدر : مكتب دراسات خليلي عبد الحفيظ

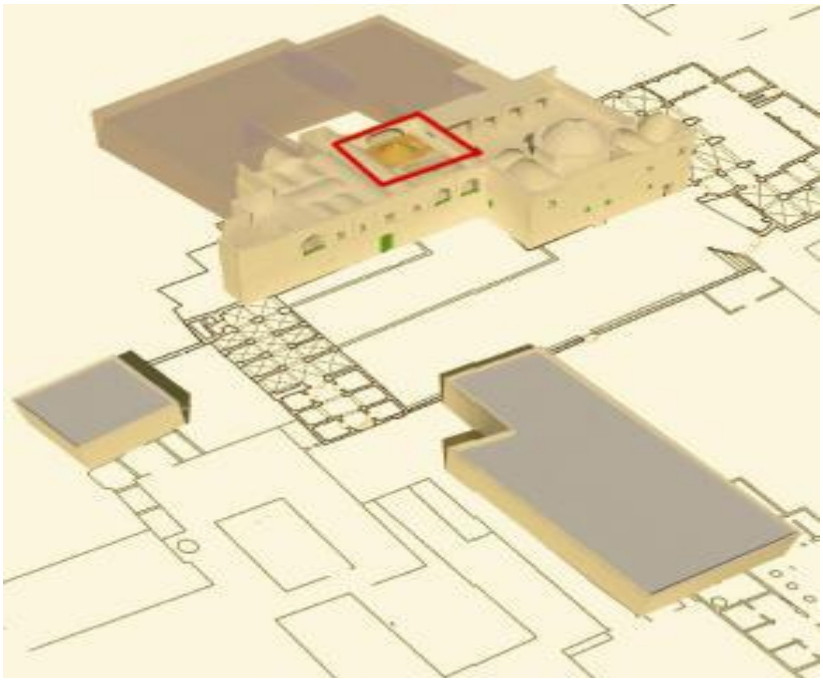

الملحق رقم 04 : التوسعة الثانية للزاوية

المصدر : مكتب دراسات خليلي عبد الحفيظ

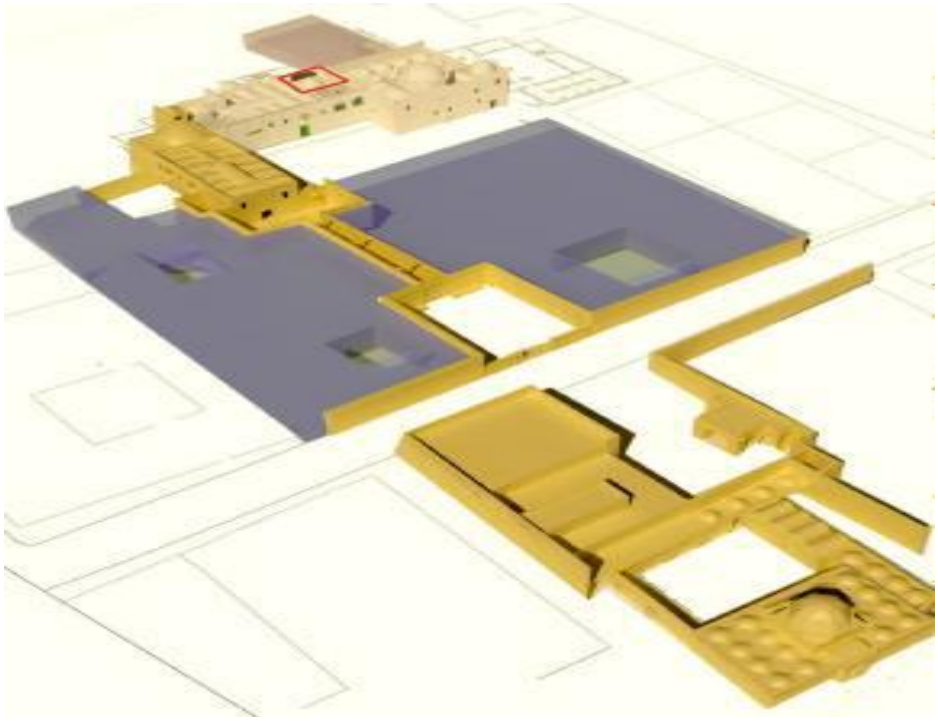

الملحق رقم 05 : التوسعة الثالثة للزاوية

المصدر : مكتب دراسات خليلي عبد الحفيظ

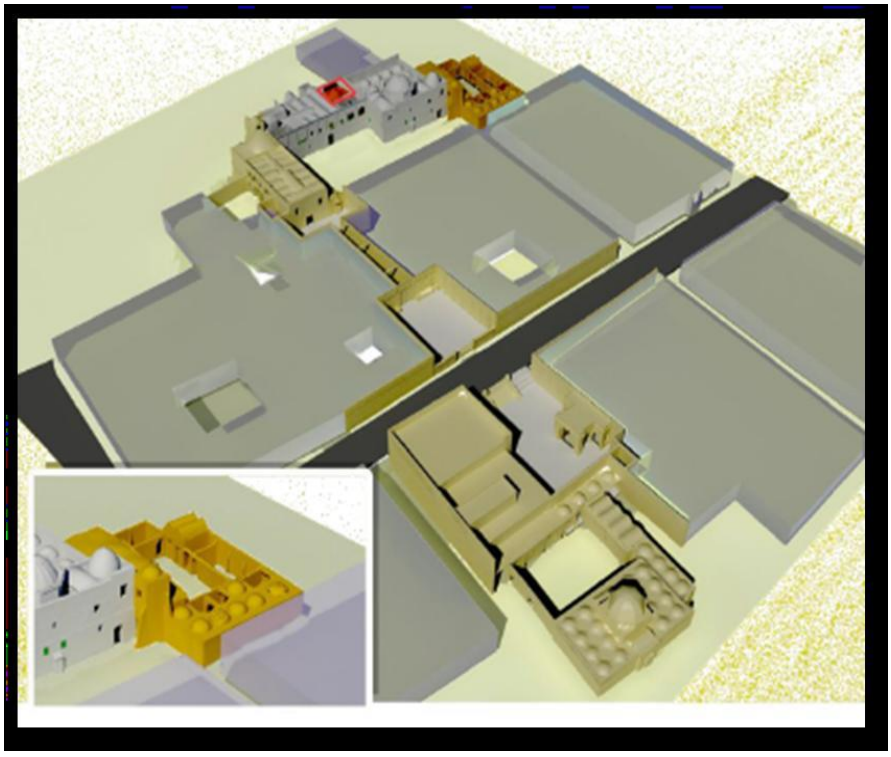

الملحق رقم 06 : التوسعة الرابعة للزاوية

المصدر : مكتب دراسات خليلي عبد الحفيظ

الملحق رقم 07 : مرحلة تجديد الزاوية

الملحق رقم 08 : مقر الزاوية التجانية

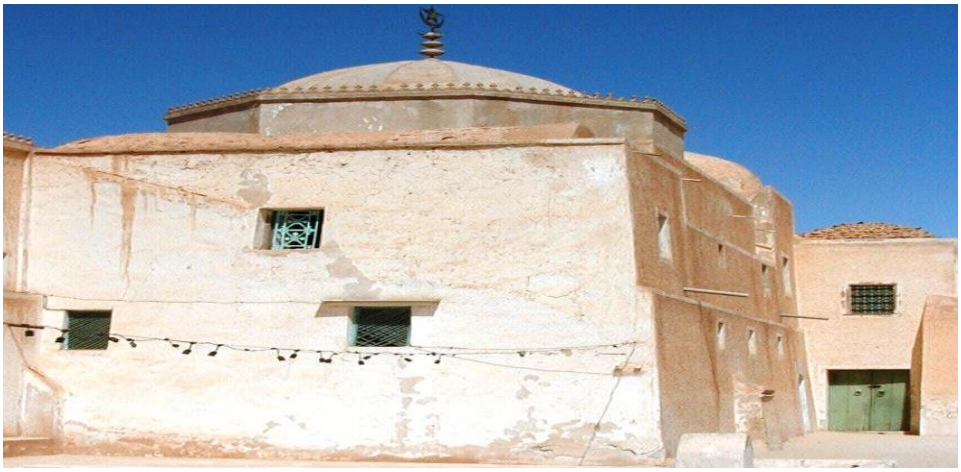

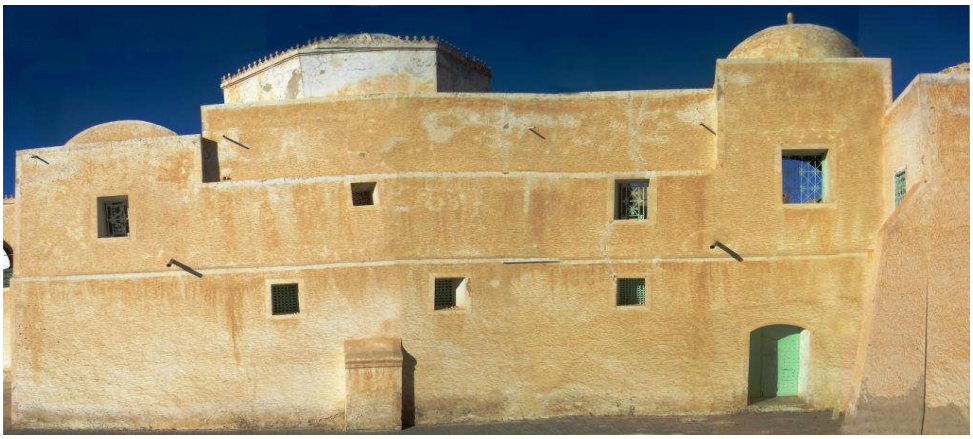

الملحق رقم 09 : واجهات مسجد الشيخ سيدي أحمد عمار

الملحق رقم 10 : بيت الصلاة لمسجد الشيخ سيدي أحمد عمار 18مx17.5م

الملحق رقم 11 : جدار القبلة (المحراب) للمسجد

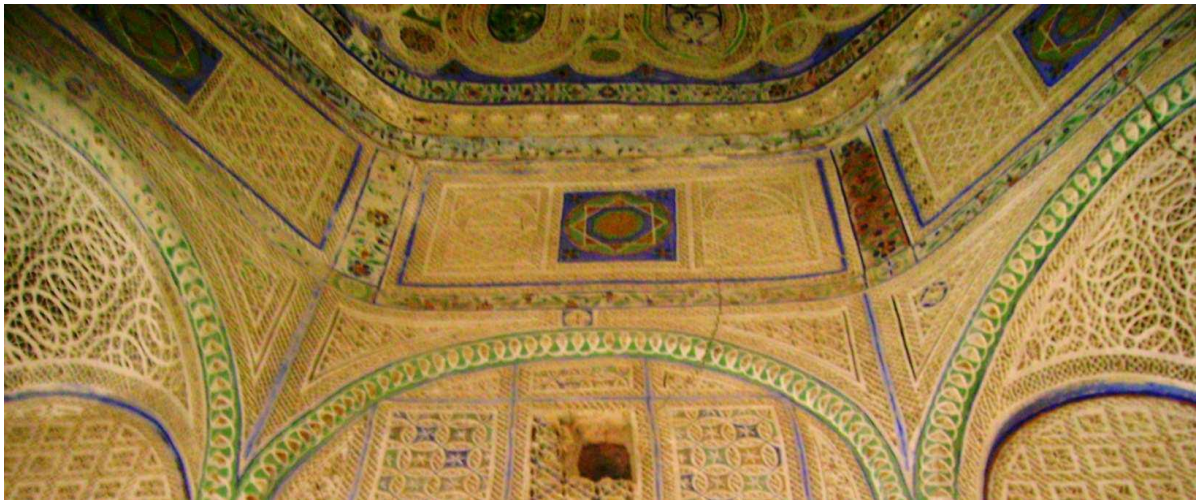

الملحق رقم 12 : قبة المحراب للمسجد

الملحق رقم 13 : سطح الشيخ محمد العيد الأول التماسيني وهو أول سطح في سوف

الملحق رقم 14 : ضريح الشيخ سيدي أحمد عمار

الملحق رقم 15 : القصر الهرمي (منظر خارجي)

الملحق رقم 16 : القاعة الداخلية بالقصر الهرمي

الملحق رقم 17 : مسجد سيدي حمه العروسي

الملحق رقم 18 : حوش أسيادنا أو دار السادة

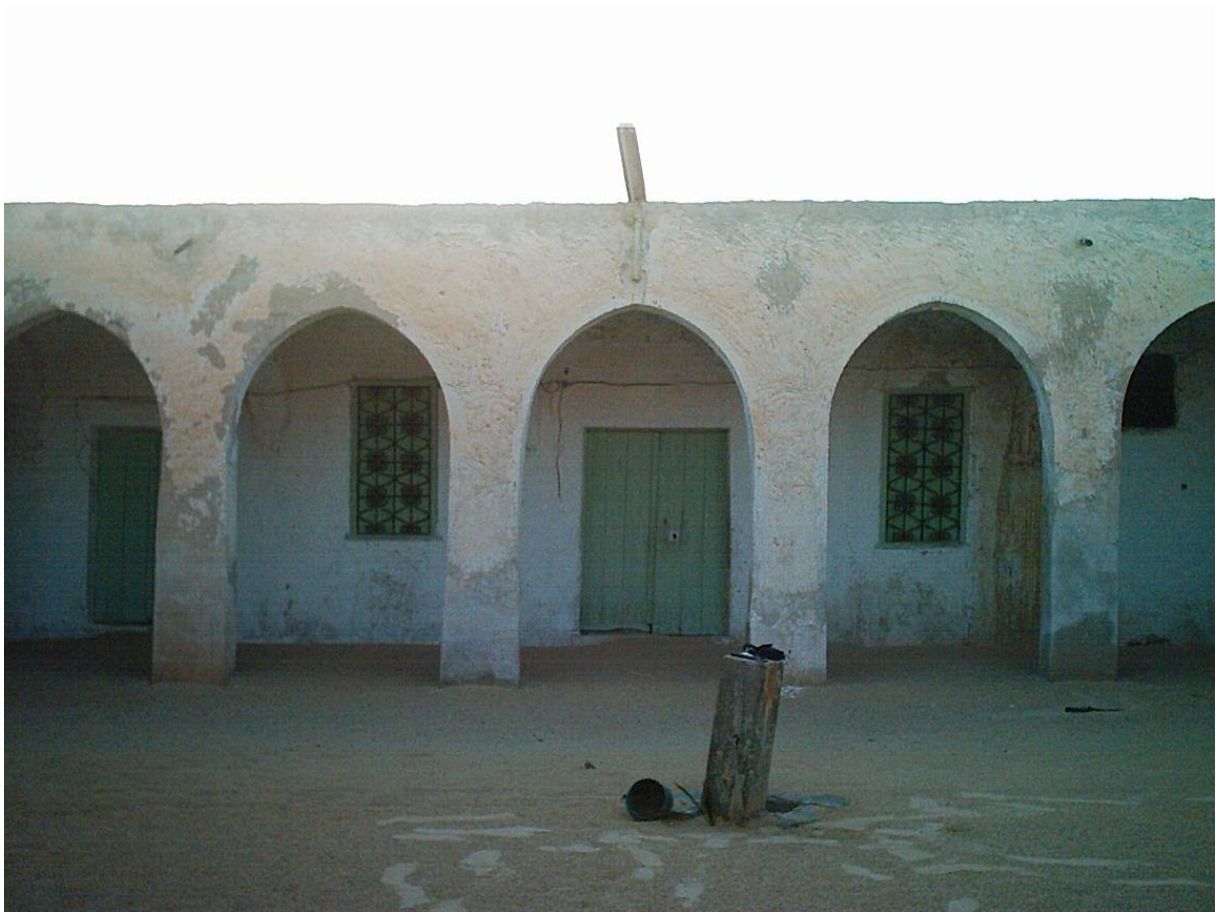

الملحق رقم 19 : الحوش الشرقي قبل الترميم

الملحق رقم 20 : وردة الرمال (حجارة اللوس)

الملحق رقم 21 : طريقة البناء بحجارة الطرشة

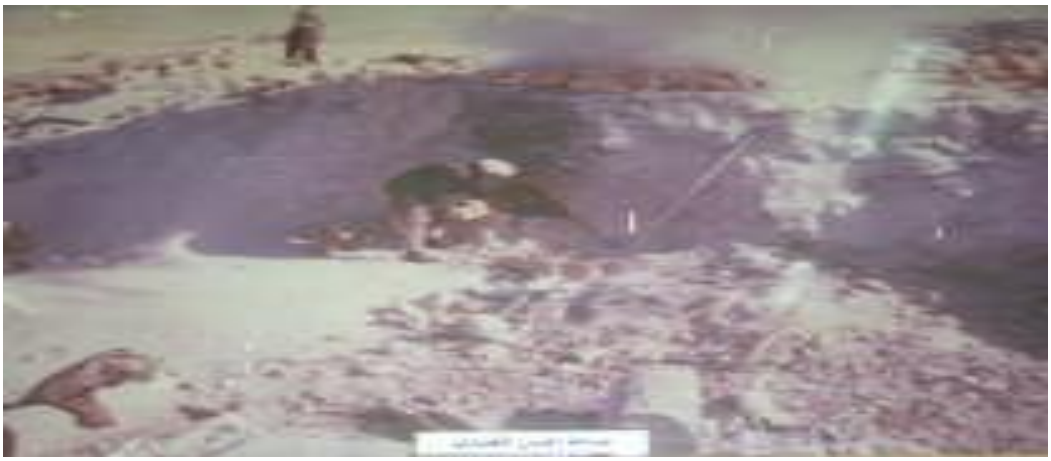

الملحق رقم 22 : الطريقة التقليدية لحرق الجبس داخل الفرن يسمي بالحاروق

الملحق رقم 23 : تسقيف بجذوع النخيل

الملحق رقم 24 : آجر ترابي مطهو

الملحق رقم 25 : الأقواس داخل الزاوية

الملحق رقم 26 : مداخل وأبواب الزاوية

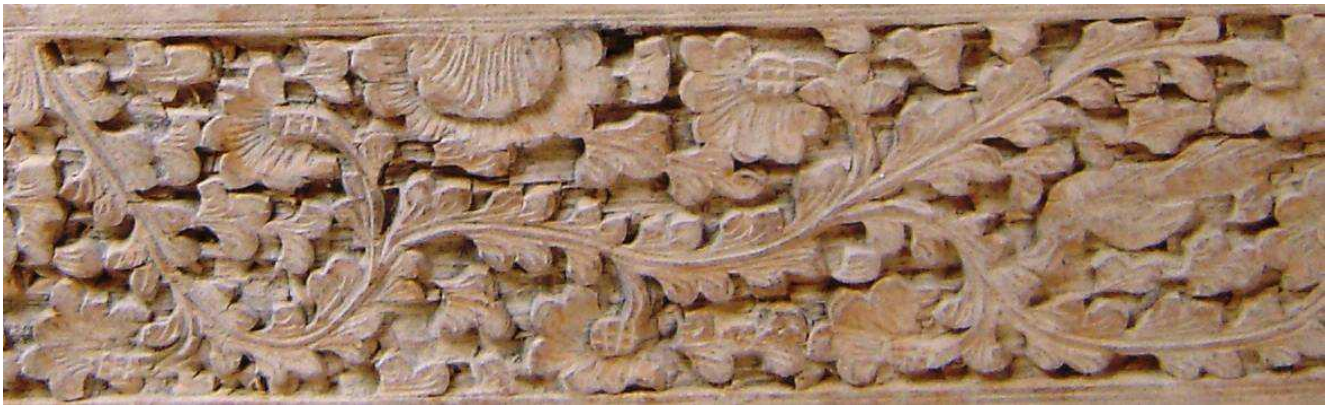

الملحق رقم 27 : الزخرفة على الخشب

الملحق رقم 28 : الزخرفة على النحاس

الملحق رقم 29 : الزخرفة الجصية البيضاء تقنيات الحفر البارز

الملحق رقم 30 : زخرفة الهندسية علة الجص ملونة بألوان مائية

الملحق رقم 31 :زخرفة كتابية ملونة بألوان مائية

الملحق رقم 31 : الزخرفة النباتية ملونة بألوان مائية

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

1- البيهقي الحافظ أبو بكر ،**الجامع لشعب الإيمان** ، تح : عبد العالي عبد الحميد حامد مكتبة الرشد ، السعودية ، ط1 ، 2003 ، رقم الحديث 1393.

2- التجاني صادق بن أحمد العروسي ، **العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج على التماسيني** ، مراجعة : أحمد العروسي التجاني ، المطبوعات الجميلة ، الجزائر ، 2015 .

3- حرازم الحاج علي ، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني** ، تح: محمد الراضي كنون ، دار الرشاد، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2011 .

4- عبد الرحمن بن خلدون ، **المقدمة** ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2010 .

5- العوامر إبراهيم، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، ط_1، تونس، الدار التونسية للنشر ، 1977 .

6- المقري التلمساني أحمد بن محمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، د.ط، 1988،ج1

7- ابن منظور، **لسان العرب** ، دار المعارف ، مصر ، مج 4 .

المراجع :

8- الألفي صالح ، **الفن الإسلامي، أصوله، فلسفته، مدارسه**، ط2 ، دار المعارف لبنان 1974 .

9- باشا حسن ، **الخط العربي الأصيل، ضمن كتاب حلقة بحث الخط العربي**، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، 1966 .

10- بانوري فيليب ، **نظرة غربية للزاوية التجانية بقمار** .

11- بن خليفة علي، **العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني** ، مطبعة دار الجائزة ، الجزائر ، ط1 ، 2015 .

12- بن علي محمد الصالح ، **جمالية العمارة التقليدية في وادي سوف ، حي الأعشاش نموذجا (1400، 2011) دراسة تاريخية وصفية**، مطبعة مزوار ، الوادي ، ط1 ، 2013 ، ج.1

13- التجاني محمد النذير ، **الزاوية التجانية بقمار ، ماضي- حاضر- مستقبل** ، قمار ، 03 جوان 2014 .

14- حسونة عبد العزيز ، **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية عمرانية** ، مطبعة مزوار ، الوادي ، 2013.

15- خميس الزوكه محمد ، **في جغرافية العمران** ، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية ، 2003

16- العقون التجاني ، **أضواء على مدينة قمار بوادي سوف** ، ط1 ، مطبعة الوادي ، الوادي ، 2016 ، ص .12

17- غريسي علي بن محمد ، **أعلام وأختام** ، مطبعة كوينين ، الوادي ، الجزائر ، ط1 ، 2013 ، ج1 .

18- كونل أرنست ، **الفن الإسلامي**، ترجمة: أحمد موسى، بيروت، 1966 .

19- المجمع الثقافي للزاوية التجانية ، **الزوايا التجانية** ، تماسين ، 2013 .

20- المجمع الثقافي للزاوية التجانية ، **الزاوية التجانية بقمار** ، قمار ، الوادي ، 2007.

21- مجموعة من الباحثين، **الفن العربي الإسلامي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس .1997 ،ج3 .

22-مرزوق عبد العزيز ، **الإسلام والفنون الجميلة** ، دار الكتاب، القاهرة، 1944 .

23- مرزوق عبد العزيز ، **الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الثقافة، بيروت ، د ط ، د ت .

24- المطري سيد خالد ، **جغرافية الاستيطان الريفي**، الدار السعودية للنشر، السعودية، ط2، 1999 .

25- مؤيد العقبي صلاح ، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر** ، دار الكتب العلمية ، الجزائر، د ط ، 2002 .

26- هيئة الموسوعة ،**الموسوعة العربية العالمية** ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض، السعودية، ط2، 1999، ج13 .

الرسائل الجامعية :

27- بحيدي حسان وعبد القادر محمد، **الزوايا ودورها في حفظ المخطوطات**، مذكرة ليسانس علم المكتبات والوثائق ، إشراف : أصحى محمد ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة السانية ، وهران ، 2000 /2001 .

28- حديبي مراد ، **الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري دراسة تاريخية آثارية** ، زاويتي تماسين بواد ريغ وقمار بواد سوف نموذجا ، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: عبد العزيز لعرج ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2012/2011 .

29- حسونة عبد العزيز ، **النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 16 م إلى القرن 19م دراسة أثرية ومعمارية** ، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية ، إشراف : الدكتور حملاوي علي والدكتورة طيان شريفة ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 02 ، 2010/2009 .

30- شوية محي الدين ، **إعادة الاعتبار لمسجد حمة العروسي إلى مقر حلقات الذكر وتدريس القرآن** ، حالة الدراسة: جزء من الزاوية التجانية . قمار. ، مذكرة ماستر في الهندسة المعمارية ، تخصص: تراث عمراني ومعماري في الصحراء، كلية العلوم والتكنولوجيا ، قسم الهندسة المعمارية ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014، 2015 .

31- عزوق عبد الكريم ، **تطور المآذن في المغرب الأوسط مع بداية دولة بني حماد حتى نهاية العصر العثماني**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الإسكندرية، مصر، 1991 .

32- غلام الله سعاد ، **دراسة خصائص مواد البناء زاوية قمار التجانية واد سوف وتحضير ملاط جصي للترميم** ، رسالة دكتوراه ، إشراف الدكتور : حميان مسعود والأستاذة المساعدة جودي آمنة، معهد الآثار ، جامعة الجزائر2 ، 2010/ 2011 .

33- لعرج عبد العزيز ، **جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان، دراسة فنية أثرية جمالية**، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط ، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2007.

34- مصباحي عبد العزيز ، **خطاب الزوايا في الجزائر الزاوية التجانية أنموذجا** ، دراسة تداولية ، إشراف : علي خفيف ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، 2012/2011 .

35- ناقص مروة ،**إعادة تأهيل القصر الهرمي مقر تدريس القرآن** ، حالة الدراسة : جزء من الزاوية التجانية قمار، مذكرة ماستر في الهندسة المعمارية ، تخصص تراث عمراني ومعماري

في الصحراء ، كلية العلوم و التكنولوجيا ،قسم الهندسة المعمارية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016 .

الملتقيات والندوات :

36- أسود حسين ، **دراسة تاريخية للعمارة بوادي سوف** ، مسجد سيدي المسعود بالوادي وقمار نموذجان ، الملتقى الوطني الثامن حول التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2015 .

37- بلهادف بن سالم ، **ترجمة الإمام سيدي الحاج علي التماسيني** ،محاضرة ألقاها في الندوة الجهوية للزوايا والطرق الصوفية ، ورقلة ، 2004 .

38- زواري أحمد جمال ، **المعالم الأثرية في منطقة سوف من خلال كتاب (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف) لإبراهيم العوامر**، الملتقى الوطني الثامن حول التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2015 .

39- عقبة السعيد ، **الزاوية التجانية بقمار** ، محاضرة ألقيت يوم 23 أكتوبر 2003 .

40- مفتاح عبد الباقي ، **الزاوية التجانية بقمار** ، الندوة الفكرية الثانية للشيخ عبد القادر الياجوري ، من 09 إلى 11 أكتوبر 2001 ، قمار .

المجلات والدوريات :

41- سعد الله أبو القاسم ، **فذلكة تاريخية عن منطقة سوف بالجزائر لمحمد الطاهر تليلي،** مجلة العرب ،الرياض ج11 و12 ، جويلية ، أوت ، 2002 .

42- عقبة السعيد ، **النشاط العلمي والثقافي للزاوية التجانية بقمار خلال القرنيين 19و20م،** مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الثامن ، ديسمبر 2016 .

43- غريسي علي، **مجلة قطوف دانية** ، "**منطقة سوف الحاضنة الأولى للطريقة التجانية** "، العدد الأول، 2016 .

الأشرطة المصورة :

44- الشيخ الدكتور محمد العيد التجاني التماسيني ، **لقاء مع شيخ الطريقة التجانية حول الزاوية التجانية بين الأصالة والمعاصرة**، حاوره: محسن التجاني ونجاح التجاني ، شريط فيديو مصور، تماسين ، 2014 .

المواقع الالكترونية :

45- بن سالم بلهادف ، **دور الطريقة التجانية بقمار في نهضة سوف والأمصار المجاورة** ، www.nafahat7.net

46- حسونة عبد العزيز ،**عمارة الحواضر في منطقة وادي سوف "مدينة قمار نموذجا**" مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة ورقلة، ع 22 . www.revues.univ-ourgla.dz

المراجع الأجنبية :

47- Choay Françoise, **L'Alégorie du patrimoine**, **Paris**, 3° édition,1992.

الفهرس

الفـــهرس

الشكر وعرفان 01

الإهداء.....02

المقدمة.....أ

الفصل التمهيدي : لمحة تاريخية عن قمار

لمحة تاريخية عن مدينة قمار.....12

الموقع الجغرافي.....12

التطور التاريخي لمدينة قمار.....13

التطور العمراني لمدينة قمار.....16

الفصل الأول :الزاوية التجانية دراسة تاريخية

المبحث الأول : مفاهيم أولية.....22

التعريف بالطريقة التجانية.....22

التعريف بالزاوية.....23

المبحث الثاني : موقع الزاوية وتأسيسها.....27

الموقع الجغرافي.....27

تأسيس الزاوية 28

المبحث الثالث: مراحل تطور الزاوية.....30

مرحلة التوسعة.....30

في عهد الخليفة محمد العيد الأول.....30

في عهد الشيخ محمد حمه.....32

الشيخ محمد العرسي.....33

في عهد الشيخ محمد العيد بن الشيخ محمد الصغير.....35

مرحلة التجديد.....37

في عهد الشيخ محمد البشير الثاني 37

في عهد الشيخ محمد العيد الثالث.....37

المبحث الرابع: الدور الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والديني للزاوية 40

الدور الديني.....40

الدور العلمي و التعليمي.....41

الدور الاجتماعي 43

الدور الاقتصادي 44

الدور الثقافي 45

الفصل الثاني : الزاوية التجانية دراسة معمارية

المبحث الأول: مفاهيم حول العمارة والعمران.....49

تعريف العمارة.....49

تعريف العمران.....50

التراث العمراني.....50

العمران والتاريخ.....52

المبحث الثاني : أهم معالم الزاوية 55

مسجد سيدي أحمد عمار.....57

القصر الهرمي 60

مسجد حمه العروسي 61

حوش أسيادنا أو دار السادة 62

المبحث الثالث: مواد البناء وتقنياته 66

مواد البناء.....66

تقنيات البناء.....71

الفصل الثالث: العناصر الفنية الزخرفية

المبحث الأول : مواد الزخرفة 79

المبحث الثاني : تقنيات الزخرفة 82

المبحث الثالث : العناصر الزخرفية 89

الخاتمة.....99

الملاحق.....105

قائمة المصادر والمراجع 122

الفهرس.....129